الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي بالدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٢ / ٥٦٧٦٩

العدد ٢٨٢ الثلاثاء أول جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — ٢٣ من مايو سنة ١٩٤٤ السنة السادسة

فهرس العـــــدد

صفحة

١ الضغط على المحايدين ... : للدكتور محمد عوض محمد ...
٥ خطاب ... ... : للأستاذ أحمد أمين بك ...
٧ المرأة في عامين ... ... : للدكتور أحمد زكي بك ...
٩ ميخائيل نعيمة ... ... : للأستاذ إبراهيم جلال الدين
١٢ مفلاح داود ... ... : « شفيق جبري ...
١٤ الشعر المنتصار عند الألمانيين : « كورنيس عواد
١٥ أدباء الأمم العربية ودعوتهم إلى عقد مؤتمر عربي ... : « مهدي العزاوي ...

صفحة

١٧ سعيد العين وأدبها ... : للأستاذ أرنست هاوسر ...
٢٠ أقفر الغاطي (قصيدة) : للأديب مصطفى عبد الرحمن
٢١ حول مستقبل الأدب العربي : للدكتور عبد الوهاب عزام
٢٣ ذات مساء (مجموعة قصص) قد وتقدير ... ... : بقلم الأستاذ محمود تيمور ...
٢٤ الصعيد (قصيدة) : للأديب عبد الفتاح البارودي
٢٥ حوار : « : « عبد العليم محمد الجبالي

الضغط على المحايدين

عندما تستمر نار الحرب ، وتلتهم الأرواح والأمم لا يكون حياد ولا وقوف بلا حراك .. كان ذلك هو شعوب ، ترى فريقا قد آثر العافية والسلامة ، وتنكب عن طريق الحرب ، والتزم خطة الحياد . هذه كانت السنة في الزمن القديم ، يوم كان الرئيس العربي ينادي بأن لا نافة له فيها ولا جمل ، وهي السنة اليوم الذي رأينا فيه دولة إرلنده تلتزم الحياد مع أن مليكها ورئيسها الأعلى يخوض حربا عنيفة شعواء . فموقف الحياد ليس بالشيء الجديد ، المقصور على هذه الدول المتمدنة ، لأن الحرب هي أيضا ليست من مبتكرات المدنية ؛ بل ذات أصول عريقة في العصر الجاهلي .

ولو أن العالم الجديد سار في طريق الرقي حقاً ، لما كان هنالك حياد بالمعنى الصحيح ، ولكان هنالك نظام عالمي يجعل المعتدي على دولة واحدة — مهما كانت صغيرة عزلاء — معتديا على جميع الدول . وهنالك يشن الجميع حربا شعواء على المعتدي الأثيم حتى يعود إلى الصواب . وهنالك لا يكون حياد ولا وقوف بلا حراك . كان ذلك هو الحلم الذي ارتسم في عقول من أنشأوا عصبة الأمم بعد الحرب الماضية . ولكنه ظل مع الأسف حلما ، لأن طائفة من الدول القوية أبت أن تحققه ، وطائفة أخرى أبت إلا أن تقطعه وتمزقه . فكان من نتيجة هذا أن ثارت هذه الحرب بين طائفة من الدول ، وظلت طائفة أخرى ملتزمة خطة الحياد .

والمحايدون يراقبون أثناء الحروب مراقبة دقيقة ، لكيلا يرتكبوا عملا يتنافى مع الحياد . والدول المحاربة شديدة الانتباه لكل أمر يصدر عن الدول المحايدة ، وتحصي عليها كل عمل تأتيه وتحاسبها عليه — أثناء الحرب ، إذا استطاعت ، وإلا فبعد الحرب — حسابا عسيراً . وكثيرا ما يكون المحارب شديد التبرم بالحياد ؛ لأنه يرى أنه على حق ، وأنه ينصر الحق ، فكيف يسوغ لإنسان أن يقعد عن مساعدته وهو ينصر الحق ، وفي نصرة الحق فائدة

الجمع ؟ وهذا التفكير أيضاً ليس بالشيء الجديد ؛ فالمحاربون في الجاهلية العربية كانوا أيضاً يتحرمون بمن يقف موقف الحياد، وقد ابتكروا لهذا المعنى ذلك القول الشهير الذي لا تزال تردده إلى اليوم وهو : « من ليس منا ، فهو علينا ! » .

وفي هذه الحرب ، التي لم تزل تنمو ميادينها وتتسع حتى عمت الكوكب كله ، بادر كثير من الدول بإعلان خطة الحياد . ولكن المتحاربين كان لهم في هذا الأمر رأي آخر ، ففي العام الأول من الحرب قضت ألمانيا على حياد نروج ودانمارك وهولندة وبلجيكا ولكسمبورج ؛ وفي العام الثاني قضت على حياد سلوفاكيا وهنجاريا ويوجوسلافيا ورومانيا وبلاد البلغار . كانت ألمانيا لا يردها عن القضاء على حياد دولة إلا رغبتها في الإرجاء . وفي مقابل هذا كله لم تقم دول الحلفاء إلا بالتدخل في سوريا ولبنان ، ثم في إيران ، مع تقديم المواثيق بأن ما جرى هنالك ما هو إلا ضرورة حربية تزول بانتهاء الحرب .

أما روسيا — التي كانت تتوقع [illegible] عليها عاجلا أو آجلا — فقد استعصمت [illegible] بالتدخل في شئون دول البحر البلطي أستونيا ولتونيا ولاتفيا ؛ وباقتطاع جزء صغير من فنلنده . وهكذا تضاءل بالتدريج عدد المحايدين ، حتى أصبح قلة تافهة إلى جانب الأقطار التي اشتركت — أو أقحمت — في هذه الحرب . وما دام المتحاربون يظنون أنفسهم منهمكين في حرب فناء أو بقاء ، فلا شك أننا نلتمس لهم العذر إذا كانوا يحاولون من آن لآن أن يؤثروا في المحايدين تأثيرا يختلف شدة وقوة من آن لآن .

إن موقف الحياد ، الذي تتخذه دولة من الدول ، يجب أن يكون من الدقة بحيث لا ينتفع به أحد الفريقين المتحاربين . ولا يجوز لدولة المحايدة أن تؤوي جنودا أو سفنا حربية أو طائرات تابعة لأحد المعسكرين ؛ ويجب عليها أن تمتنع ، وأن تمنع رعاياها ، من الاشتراك في الحرب ، أو بيع أي مادة تستخدم في الحرب ، ولو بطريق غير مباشر . فليس يكفي أن تمتنع الدولة المحايدة عن بيع الدافع والقنابل والسفن الحربية ونحوها مما يستخدم في الحرب ، بل كذلك الأدوات والمواد الأولية التي يغلب استخدامها في صنع أداة الحرب .

على أن هذه الاعتبارات ، إذا اتفقت مع ما اصطلح عليه العرف الدولي في تحديد معنى الحياد ، فإن التطورات الحديثة في الأداة الحربية ، قد جعلت هذه الشروط نفسها غير كافية لوقف الحياد من جهة ، وتخلق للمحاربين مشقة يصبح معها من المستحيل احترام الحياد احتراما تاما من جهة أخرى ، وتسبب للمحايد ضيقا وضنكا من جهة ثالثة .

والحالة الأولى يفسرها بوضوح حياد إرلنده . فإن هذا الحياد يعمل دائما لمصلحة ألمانيا ، فإن الطائرات الألمانية قد استفادت بأنوار إرلنده على توجيه ضرباتها [illegible] التقابل من إنجلترة ، أو للأرض الإرلندية الشمالية وأسكتلنده . ومن المعروف أيضاً أن السفن الألمانية — قد [illegible] الإرلندية الإقليمية ؛ فلم تفعل حكومة إرلنده [illegible] من أن أفحمت حقها بشدة على هذه الأعمال وأشباهها . وهكذا نرى أن الحرب الحديثة قد جعلت موقف الحياد الإرلندي ليس حياداً بالمعنى الصحيح ، لأنه من غير شك يضر الحلفاء ويفيد الألمان .

أما الحالة الثانية وهي صعوبة احترام الحياد احتراما تاما ، فهي واضحة من مثال واحد بسيط ، وهو النشاط الجوي . فمن المعروف أن الاصطلاح الدولي لا يجيز لطائرات المحاربين أن تخترق جو البلاد المحايدة . ولكن مبدأ حيدة الجو فوق البر المحايد ، مبدأ قد دفعته ضرورات الحرب الحاضرة في زاوية الإهمال والنسيان . وسويسرة — ولعلها الدولة الوحيدة التي هي أدنى إلى مسلك الحياد التام من أية دولة أخرى — لا تكلف نفسها حتى عناء الاحتجاج على اختراق الطائرات لجوها في صورة لا تكاد تنقطع .

بقي أمر ثالث ، وهو أن شروط الحياد القديمة تعطل

كثيرا من مصالح الدول المحايدة . فإننا إذا سلمنا بأن على هذه الدول ألا تبيع أدوات الحرب إلى أحد الفريقين المتحاربين ، فإن من الصعب عليها أن تمتنع عن بيع كل مادة قد تستخدم فى صناعة أدوات الحرب . وهذا الشرط يرجع فى الراجح إلى الزمن المتقدم ، حين كانت المواد المستخدمة فى صنع الأداة الحربية قليلة العدد ، أما اليوم فإن من الصعب أن نجد مادة أولية لا تدخل فى صناعات الحرب وأعمال الحرب . وإذا كانت الدول المحايدة لا تتصرف فى هذه المواد بالبيع لأحد الفريقين فإن تجارتها تتعطل ، وحياتها الاقتصادية تصاب بارتباك شديد . ولذلك لم يكن بد من أن تخرج الدول المحايدة على هذه القاعدة وأن تبيع ما لديها من المواد لأحد الفريقين . وهى قلما تستطيع أن تبيع للفريقين فى آن واحد ، لأن هذا يتطلب منها قوة عظيمة تمكنها من أن تحمى نفسها شر أى احتجاج أو إرهاق من أحد الطرفين . وليس من المحايدين اليوم دولة قوية ، بل كلها دول من الدرجة الثانية أو الثالثة ، ولذلك تراها تبيع ما لديها من السلع للفريق الذى تخشى جانبه ، أو الذى تميل إليه .

وقد جاء على الدول المحايدة : تركيا والسويد وأسبانيا والبرتغال ، حين من الدهر كانت تخشى فيه جانب الألمان ، فأخذت تبيع لألمانيا ما لديها من السلع ، وكانت ترضى فى كثير من الأحيان أن تتلقى فى مقابل ما تقدمه من السلع وعوداً بالدفع ، أو سلعا أخرى ليست فى حاجة شديدة إليها . فلما تبدلت الأحوال ، وشالت كفة الألمان ، ورجحت كفة الحلفاء ، ألفينا هذه الدول تتحول إلى وجهة جديدة ، وتسلك مسلكا جديدا .

وهذا التحول واضح بوجه خاص فى موقف أسبانيا الذى كثر التحدث عنه فى المدة الأخيرة ، والذى سنخصص له الجزء الباقى من هذا المقال .

إن أسبانيا من غير شك دولة حسنة الحظ ، حيث مكنتها حوادث الحرب وظروفها من أن تبقى بمعزل عنها ، وأن تسلم من غوائلها ؛ ولقد كان من الجائز جدا أن يكون لها مصير غير هذا المصير . فمن المعلوم أن الحكومة الأسبانية الحاضرة مدينة إلى دول المحور بمساعدات ضخمة ، يوم نصرت ألمانيا وإيطاليا فريقا من الأسبان على فريق ، وكانت تلك المساعدات العامل الأكبر فى انتصار النظام الحالى وانهزام الحزب الجمهورى . وفى أسبانيا حزب كبير الخطر يميل إلى دول المحور ، ويرى مصلحته الكبرى فى مناصرتها وتأييدها ؛ وكان من الجائز أن يطالب إلى الحكومة الأسبانية الحاضرة أن تؤدى ما عليها من دين ، وأن تشترك فى هذه الحرب برجالها ودماء أبنائها ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث . ولابد لنا أن نتساءل تحقيق المؤرخين فى المستقبل لكى نعلم هل طلب إلى أسبانيا مثل هذا الاشتراك ؟ ولكن يخيل إلينا أن الألمان لم يكونوا فى حاجة أول الأمر إلى جيش أسبانى ، لأن ذلك كان يكلفهم مؤونة تدريبه وتموينه وتزويده بالعدة الحربية اللازمة ، ولو أن أسبانيا عن ميادين الحرب الأولى لم يكن مثل هذا الأمر مما يفيد ألمانيا كثيراً . واكتفت الحكومة الألمانية من أسبانيا بمساعدات تجاريه ، وبأن يكون حيادها مشربا بروح العطف على ألمانيا وإيطاليا .

ولكن أسبانيا ذهبت إلى أبعد من هذا فى مؤازرة ألمانيا ؛ فإنها فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بسطت سلطتها التامة على مدينة طنجة ، وتولت حكمها بنفسها ؛ ولم تستطع بريطانيا فى مقابل هذا العدوان الصريح أن تعمل أكثر من الاحتجاج . ذلك أن طنجة مدينة دولية خاضعة لحكم أربع دول : بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا ، وهى واقعة فى الطرف الجنوبى من مضيق جبل طارق ، ولذلك فهى مجال واسع للتجسس ولمراقبة السفن المارة من المضيق ؛ واستيلاء أسبانيا عليها يمكن للألمان من أن يجدوا فيها ميداناً لبث العيون والأرصاد ، والاستفادة

من ذلك فى مختلف الوجوه . ولم تلبث ألمانيا أن أصبح لها تمثيل قنصلى قوى فى طنجة ، ولم يلبث رجالها أن انتشروا فى أعمالها كما انتشروا فى أنحاء مراكش الأسبانية .

ولقد انتظرت أسبانيا إلى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تحارب ، بمفردها تقريباً ، عدواً شديد البطش مدججاً بالسلاح ، ثم أقدمت على الاستيلاء على طنجة . فكان هذا عملا يصعب أن يوصف بأنه من أعمال الحياد . إن بريطانيا لم تثر مسألة طنجة بعد ، ولا ينتظر أن تثيرها قبل نهاية الحرب .

ومضت أسبانيا فى أعمالها « الحيادية » هذه ؛ فسمحت بإرسال فرقة محاربة إلى روسيا ، فإن حاجة ألمانيا الآن اشتدت إلى من يحاربها فى معاقرانها الحربية . وتحدث الناس كثيراً قبل ذلك فى أن أسبانيا قد تسمح لجيش ألمانى بالذهاب إلى إفريقية ، وللاستيلاء على جبل طارق . ولا نظن أن أسبانيا كانت تمانع كثيراً فى هذا الأمر ، ولكن ألمانيا — لأسباب [illegible] — فضلت أن تظل أسبانيا بعيدة من [illegible] ، وأن [illegible] الأمدادات الإفريقية عن طريق سقلية .

ثم دار الفلك دورته ، ودخلت أمريكا الحرب إلى جانب الحلفاء فى ديسمبر ١٩٤١ ، ولم يكن فى هذا أول الأمر ما يدعو أسبانيا إلى أن تحول حيادها الجرمانى إلى حياد أمريكى . ولكن الحال لم تلبث أن تبدلت ، يوم دخلت أمريكا بجيوشها إفريقية الشمالية فى نوفمبر سنة ١٩٤٢ . وتدفقت قوات الحلفاء إلى شمال إفريقية ، وانهزم الألمان فى ليبيا ، وتونس . وأصبحت السيطرة التامة فى إفريقية الشمالية للفريق الذى لم تكن أسبانيا تخشاه . ولم يكن فى هذه الحالة الجديدة ما يضرها ، لو أن حيادها كان حياداً دقيقاً ، ولكنه كان حياداً من حيادات هذه الحرب ، يتغير بتغير الظروف والحوادث . ولا شك أن أسبانيا قد تورطت فى حيادها الجرمانى إلى مدى بعيد ، ولم يبق بد من أن تصلح بعض ذلك الفساد ، وأن ترأب الصدع الذى أمعنت فى حفره بينها وبين الأمم المتحدة . ومع ذلك كان من الصعب على الحكومة الأسبانية أن تتجه بحيادها هذا الاتجاه الجديد . واضطرت الحكومة الأمريكية لأن تقطع عن أسبانيا واردات البترول . وكان فى وسعها أن تستخدم وسائل أخرى للضغط على الحكومة الأسبانية . ولكن هذه أدركت أخيراً أنها تحسن صنعاً لو حولت حيادها وجهة جديدة ، فقبلت جميع الشروط التى تقدم بها الحلفاء وبادرت بتنفيذها . ورأينا فى الأسابيع الماضية تمنع عن ألمانيا صادرات الولفرام ، وهو مادة معدنية من المواد التى تشتمل على عنصر تنجستن ، وهو مادة ثمينة ليس لدى الألمان منها شىء ، فليس فى الأرض الألمانية ولا فى جميع الأقطار التى تسيطر عليها ألمانيا أثر من مادة الولفرام ، وهى من المواد اللازمة لصنع الصلب المطلوب للمانة .

كذلك قبلت أسبانيا أن تطرد الجواسيس المحوريين من [illegible] الأسبانية ، وأن تخرج قنصل ألمانيا [illegible] وقد طلبت إلى اليابان أن تلغى قنصليتها أيضاً فى تلك البلاد . كما أمرت تلك الفرقة المزيلة التى تحارب فى روسيا بأن تعود إلى أرض الوطن العزيز . ولم يكتف زعيم أسبانيا بهذا ، بل بادر بإقصاء أحد الوزراء — وهو من أقاربه — لأنه من أنصار المحور المعروفين .

ولئن كانت أسبانيا حرمت بيع الولفرام إلى ألمانيا ، فإن الدول المتحدة — على وفرة ما عندها من الولفرام — سيشترون ما تنتجه منه بأثمان أعلى مما كانت تدفعه ألمانيا . ولا شك أن مقدرة الأمم المتحدة على التجارة والبيع والشراء أعظم من مقدرة دولة ألمانيا .

وهكذا نرى أسبانيا وقد لبس حيادها شكلا جديداً ، واصطبغ بلون جديد ، فهو حياد مشرب بروح العطف على الفريق المتفوق أو الذى يُظن متفوقاً . ومن يدرى ، لعل معظم الحياد فى هذه الحرب — لو حللناه — لا يختلف كثيراً عن هذا الطراز الأسبانى .

[illegible]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطاب

القاهرة في ١/٥/١٩٤٤

أخي العزيز . . . . .

معذرة أن تأخرت في الكتابة إليك ، فقد مرضت مرضاً خطيراً طال شهرين .

لقد أضعف المرض جسمي ، ولكنه صهر نفسي . أتاح لي أن أستعرض حياتي الماضية ، فرأيتني كنت أمضي فيها بالسطح دون العمق ، تشغلني التوافه ، وأطمح إلى أوهام ؛ فأخذت — في مرضي — أتعرف إلى الغرض من الحياة ، وأشتاق إلى تفهم معناها ، وأجتهد أن أجتلي حقيقتها الغطاء بالأشكال والأسماء ، وأبحث عن نقطة الاتصال بين الله والإنسان ، كأن نفسي كانت نبعاً مدفوناً فتفجر ، وكأن الله كان في السماء فصار في القلب .

لشد ما يكون الإنسان أقرب إلى ربه في مرضه منه في أحزانه ، وفي شدائده ، لأنه يطلب الرحمة فلا يجدها في الأصدقاء والأقرباء ؛ وإنما يطلبها Nous ne trouvons rien dans les hommes ولا تقصر قدرته ؛ ولأنه في مثل هذه المواقف تنكشف له النفس الإنسانية فيراها ضعيفة بذاتها ، قوية بربها .

فلبثت — أثناء مرضي — في دفاتري القديمة ، فوجدتني قد نما عقلي وفتر قلبي ، ولو ودت لو كان العكس . وأقسم أني لم أحزن على شيب رأسي كما حزنت على ذبيب الشيب إلى قلبي ، فالقلب صلة الأرض بالسماء ، ومهبط الوحي من السماء إلى الأرض ، والقلب هو الحب ، وهو الانسجام ، وهو الجمال ؛ والقلب هو الدين ، وهو الأخوة ، وهو الإنسانية ؛ وما الحياة بغير هذا كله ! إن العالم لم يسعد بنمو العقل بقدر ما شقي بضعف القلب ، إنه أعدى في الحياة من العقل ، إنه منبع السرور والألم ، إنه منار الحياة .

حُبب إليّ في مرضي التصوف ، والتصوف الحق سر الدين ، والفقه ظاهره ، فقرأت فيه كتابين ، كان خيرما فيهما الحديث عن القلب ، وخير الحديث عن القلب قصة جميلة قصها متصوف . قال : إن تاجراً ألهته التجارة عن صلاة الجمعة فما انتبه إلا في موعد الصلاة ، فتوضأ على عجل وأسرع إلى المسجد ، حتى إذا أدركه رأى رجلا خارجا منه ، فسأله متلهفاً : أتمت الصلاة ؟ قال : نعم . فتأوه التاجر آهة خرجت من أعماق قلبه . فسأله الرجل أتبيعني آهتك بصلاتي ؟ قال : نعم ! وتم البيع والشراء — ثم رأى التاجر النبي (ص) في المنام فعاتبه على بيعته ، وقال له : أتبيع نبض الحياة بعمل الجوارح ، وعصارة القلب بظواهر الحركات ؟! لقد غبنت أيما غبن في بيعتك .

وشغفت — في مرضي — بنوع من الصلاة لطيف ، أن أعبد الله في جمال الطبيعة ، وأعبده بالنظر إلى سمائه وأرضه وفي جميع خلقه ، وأقرأ في كل ذلك فناً دونه أي فن ، وفناً ينبض بالحياة ، موسيقى أنغام وجمال انسجام ، وإبداعا في التكوين ، ووحدة في الوجود ، وتدرجا في الارتقاء ، وحياة متكاملة في الجميع ، «أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» . ما الشاعر ؟ ما الأديب ؟ كل رأى جمال الطبيعة من زاوية ، وقدسه في نفسه ، وقلده في فنه ، وفني فيه فحي نتاجه ، ورأى الله فيما تخصص فيه فآمن ولو كان ملحداً ؛ وآية إيمانه إقراره بأن جمال الطبيعة فوق جمال فنه ، وجلاله فوق جلاله ، وإحناؤه رأسه علامة الخضوع ، والإقرار بالعجز عن بلوغ شأوه !

غصون وأوراق وأزهار ، وجبال ووديان ، وبحار وأسماك ، ونجوم وسماء ؛ كلها تحيا حياة واحدة وإن تنوعت أسماؤها وصفاتها ، ونفس إنسانية هي أعجب العجب ، وكل ذلك وحدة مرتبطة الأجزاء ، إن قرأت الأليف فيها قرأت الياء إلى الياء . وكما قال شاعر فارسي ظريف : «لما لم يكن للطفل أسنان كان لبن ، فلما كانت الأسنان كان الطعام الذي يتناسب والأسنان» ؛ وكل شيء في العالم مرتبط هذا الارتباط .

* * *

بالأمس أخذت كرسيّ عصراً ، ونزلت إلى حديقتي المتواضعة ، وصعدت إلى السطح مساء في ضوء القمر الساحر . وكان قد استولى عليّ التفكير في نفسي ، ما ذا صنعتَ في الحياة ؟ أكتفيتَ بأنك تخط بالقلم على القرطاس ، وتُخرج مقالا في صحيفة ، أو تنشر كتاباً تؤلفه ، أكل هذا عملك في الحياة ؟ أما الانتفاع في الحياة الواقعة وإصلاحها بقدر الطاقة ، فقد نفضت منها يدك ، فعاقبتك الطبيعة بشيء غير قليل من السأم ! فالطبيعة التي غرست في الإنسان المحافظة على ذاته غرست فيه المحافظة على نوعه ، فمن لم يحافظ على ذاته كرم بالحياة ، لأنه انحرف عن سُنّة الطبيعة ، ومن لم يحافظ على نوعه يعمل في خدمته عاقبته الطبيعة بالسأم والضجر ، لأنه خرج على قوانينها ! إنك أخذت في حياتك موقف « المتفرج » من رجال الإصلاح ورجال السياسة ورجال الدين ، وجلست تنظر إلى هؤلاء جميعا نظرك إلى ملعب كرة ، أو رواية في سينما ، أو منظر في تمثيل ، وتلذذت من هذه المناظر أو الألعاب ، فكانت لذة لنفسك والألم لنفسك لا للناس ! واقتصرت شعورك على نوع من الإعجاب بنفسك ، لأنك استطعت أن تدرس هذا كله في جو هادئ ، كما تدرس موضوعا في مكتبتك ، وأن تنظر إلى المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية من وجهها الصحيح ووضعها المستقيم ، فلم يصدك من النظر الصحيح حرارة الحزبية ، ولم يعمك عن الحقيقة منافعك الشخصية ، ونظرت إلى المثلين في هذه الأمور كلها نظرة المؤرخ الصادق ، تذكر ما لكل شيء وما عليه . وأعجبك مهمتك لهذه الناظر ، إذ ترى أحيانا منظر طامح إلى المجد وإلى الشهرة وإلى النقمة الشخصية يلبس على المسرح ثياب الطهر والتقى والغرام بالصالح العام ! وترى ممثل الرغبة في المال يلبس ثياب الزهد في المال ، والتاجر بالدين أو الوطنية منح على المسرح لسانا طلقا يجعل الناس يؤمنون أنه يعمل ما يعمل لخدمة الدين والوطنية .

وأعجبتك نفسك إذ منحت في هدوءك ودراستك ومكتبتك ما مكّنك من رؤية المثلين قبل أن يضعوا في وجوههم الأبيض والأحمر والشعر المستعار والثوب المصطنع ، واستطعت بعقلك وخيالك أن تدخل عليهم في حجرة الملابس والزينة قبل أن يتصنّعوا ، ولكن هل من الحق أن تكون قابلا لا فاعلا ، و « متفرجا » لا ممثلا ؟!

وهكذا أعذل نفسي وأؤنبها ، لأنها رضيت أن تكون على هامش الحياة لا في صميمها ، وكان خيرا أن تنزل إلى الوقعة ، فإما قُتلت وإما قَتلت ، وإما كان الصدر وإما كان القبر ! ثم أرضى عنها وأحبذ عملها ، لأنها عاهدت الله ألا تنطق إلا بصدق ، ولا تنتصر إلا الحق ، فإذا أمكنها الفرص فعلت ، وإلا تمنّت ، ونفسك لا تصلح إلا لما عملت ، وكلٌّ ميسّر لما خلق له ، وحياتك لا يصلح إلا للسير في الطريق التي قطعتَ . فإن شئت طريقا آخر فغيّر حياتك إن استطعت ، ومثلك الأعلى إما أن تصنعه من مال وجاه ونفوذ ومنصب ، وإما أن تصنعه من الحب ، حب الخير والفضيلة والجمال والحق ! ومعبودك الذي تعبده إما الله وإما الله ، ولا يمكن أن تجمع بينهما .

وهكذا كان العراك بيني وبين نفسي . ولا أكتمك أني عند ما أخذت كرسيّ ونزلت إلى الحديقة كانت النظرة الأولى ، وعند ما صعدت إلى السطح كانت النظرة الثانية .

أتستطيع أن تعلّل لي ذلك ، وأن تذكر لي أيّ النظرتين أحق وأصدق ؟ وما أصعب معرفة خبايا النفس لأنها آخر وأعقد ما حاولنا أن نستكشفه !!

لقد تمنّيت أن يصح جسمي وتبقى نفسي صافية صفاءها في مرضي ، أحتقر نوافه الدنيا ولا أعبأ بها . ولكن ها هو ذي يجري من جديد في جسمي فيحمل في ثناياه الشهوات التافهة والآمال السخيفة ، فما أحرى بالإعجاب أولئك الذين استطاعوا أن يحتفظوا بطهارة دمائهم على غزارتها وحيويتها .

***

المرأة في عاصمتين

للدكتور أحمد زكي بك

دخل عليّ صاحبي في غير ما أعهد من هدوء حال ، وارتخاء بال . قلت : ما بك ؟

قال : دُشٌ ساخن أخذته توًّا .

قلت : أفي هذا الحر ؟ إذن فتحوّلْ عن التيار .

قال : ليس الدشّ دشّ ماء ، ولكن دشًّا نفسانيًّا من الأدنشاش التي تتلاطم منها النفس احترارا ، ثم يندى لها الجبين فيبرد .

قلت : ما وراءك ؟

قال : حادثٌ في الترام . في الدرجة الأولى . ثلاثة رجال ملأوا المقعد الأيمن . وثلاثة رجال ملأوا المقعد الأيسر . ودخل رجل عسكريّ أجنبي بعد ذلك فوقف . ودخلت امرأة من بعد ذلك فوقفت . وعلى القطار خمس دقائق والأنفس تتأرجح يمينا ويسارا من شدة الحرارة وهي واقفة ، والذكور جلوس . والرجل العسكري نفّل نفسه من هذا النظر حتى فاض صدره فانفجر .

قلت : كيف ؟

قال : انفجر كبركان وابور . قال : ستة رجال كالبغال تكوّمت شحومهم ولحومهم على المقاعد ، بينهم امرأة تضطرب بلا سند كالريشة في مهب الريح ، وليس منكم من يستحي فيقوم عن مجلسه لها .

قلت : فماذا صنعوا ؟

قال : بُهتوا وصمتوا . إلا رجلا هزه ما قيل .

قلت : فقام عن مقعده ؟

قال : لا ، لم يهزّ للقيام ، ولكنه اهتزّ للجواب . قال بحيا بلغة أجنبية سقيمة : « إن الله خلق لها رجلين كما خلق لنا » . فقال له الرجل : « لقد فات الله أن يخلق لكم أربعا » .

قلت : وبهذا حُسم النزاع ؟

قال : لا . فأسبابه كانت لا تزال قائمة . رجل أجنبيّ تعوّد في بلده أن يقوم الرجل الواحد لتقعد المرأة الواحدة ، فإذا هو ينظر ستة من الرجال يقعدون وامرأة واحدة تقف ، وهذه في مكان سيون تتقابل فيها الوجوه وتمتنع المداراة . وأنت يا سيدي كما الوجوه ما ترى . قال في إحدى دمدماته : « إني أعيش من الناس بعيد عن البحار . وبلدي قرية صغيرة فوق جبل ، ولا نعرف فيها الترام . ولكننا نعرف فيها كيف نحترم النساء . وكيف نفرّق بين المرأة والجاموسة » . ثم استشاط غضبا فصاح علي فيه : « يا كلابا قذرة » .

قلت : يا خبر ! فماذا صنع الرجال الكرام عند هذه ؟

قال : تصنّعوا أنهم لا يفهمون .

قلت : فماذا صنعت المرأة في الموقف الخجل .

قال : حاولتْ ما استطاعت أن تهدّئ من ثائرة العسكري . فهمستْ له باسمة : « لا تدنّس أن هذا العصر عصر المساواة في كل شيء ، حتى بين الرجل والمرأة . والقاهرة سبّاقةٌ دائما إلى التطوّر » .

قلت : وأنت ؟ أين كنت من كل هذا ، وكيف سمعت ورأيت ؟

قال : سؤالك هذا كان أخشى ما خشيته . كنت

آسف لأني حدثتك كثيرا عن نفسي ، وقد أوردتُه خطابا ، فلما بدأته نسيت فكان مقالا . فقد كنت في الصباح أكتب مقالا فسرت عدوى الصباح إلى المساء .

على كل حال أحسب صداقتنا تسمح لك أن تسرّ بجدي وهزلي ، ووقاري ولغوي .

اكتب لي كثيرا فكتبك تقع مني موقع الماء من ذي الغلة الصادي .

أهلك وأصدقاؤك بخير يسلمون عليك .

أحمد أمين

أحد الرجال الستة .

قلت : أنت الذي عاش سنوات في حيث تجلس المرأة ويقف الرجل !؟

قال : والله لا أدري ما الذي جرى . لقد كنّا هناك نقوم الرجل المرأة على غير وعي ومن غير تدبير . أما هنا ، فالفكر يتدخّل دائماً ، فيوازي ويقارن ، ويستدعي العدالة لتحكم ، ويستدعي المعاذير . ووراء كل هذا طباع متأصلة ، والمرء ، لطبعه عوّاد . لقد كان فينا نحن الستة من هو أقل مني سنّاً ، وأشبّ عضلاً ، فتربّصت بأحدهم أن يقوم لخلب أملي . وكان فينا الجندي وقد هبطت على كتفيه الزهرة والشقرى ، والجندية موطن الشهامة ومطلّة النجدة ، فتربصت به أن يقوم لخلب أملي . وكان فينا طالب الجامعة ، وقد استغنى عن غطاء رأسه ، وجرى في رأسه الشعط ، واخترق الشعر ، والمنع العطر ، وتدلّى على صدره المنديل الكبير الطويل يطلب أرضاً ، فقلت هذا الحداثة ، هذه العصرية ، فقلت أن تبيّنتها مصرية وقفت عند الجلد وشاء أمل . وسامة فرصتي أنا بين هذا الانتظار وهذا التربّص ، ما هي الشرق ، أم الشرق في حلبة الجد أفراس رهان ؟

قال : هات .

قلت : ولّت في عاصمة الفساسنة منذ سنوات على غير معرفة . وصادفني الصدفة إلى لقاء رجل كريم ، له لحية سوداء ، وعمامة بيضاء ، وجلباب أسود . وكان ذا وسامة ومهابة . وعرفت منه أنه فقيه ، فأكرمت فيه فقهه . وعرفت منه بعد ذلك أنه لا يتّجر بالفقه ولكن بالحرير ، فأكبرت فيه تحاميه عن دين الله أن يتّجر فيه . وعرفت منه أنه ذو سابقة في الثورة التي جناها الفرنسيون ، وأنه اقتحم البيوت في إطفاء الحرائق ، واقتحم الحصون ، وتعرض للموت صريحاً ، فأعظمت فيه هذه المجموعة النادرة : دين وتجارة وحرب . وقلت ما هانت بلد أنجبت مثله . وحضر إلى الفندق مبكّراً يطلب صحبتي في المدينة ، فأكبرت فيه كرماً ، واستبنت شهامة . وجرت لنا معه أيام لم تنكشف وهنا انفتحت الأفواه المغلقة ، وصاحت الألسنة كما تصيت السياط .

قلت : ففي أي شيء وقعت السياط .

قال : وقعت في عرض المرأة ، فكأنما كانوا عرفوا من تكون . وانطلقت النكتة بذيئة ، تبرّوا بها هذه المرأة المجهولة من قلة رأسها إلى إخمصها . وربطوا نزول الرجل بنزولها على بعد الشقّة بينهما ، واستدعوا الوطنية يستعينون بها على ما هم فيه . والوطنية جميلة ، ولكن الإنسانية أجمل . والرجل كان رجلاً ، والمرأة كانت امرأة ، والطفل العاجز طفلاً ، قبل أن تتفرع الأسرة الإنسانية إلى غربيّ وشرقي وآري وشامي وحبشي ومصري . وأي وطنية تكون بلا آداب ، وما إقحام الوطنية في مثل هذه الآداب ؟! وقت بدوري من هذه الجماعة ، وقد امتلأ الجراب .

قلت : هيهون عليك ، فما حال المرأة إلا بعض أحوالنا . أسمع عن قصة أخرى حدثت لي في عاصمة أخرى من عواصم الشرق ، أم الشرق في حلبة الجد أفراس رهان ؟

قال : هات .

قلت : ولّت في عاصمة الفساسنة منذ سنوات على غير معرفة . وصادفني الصدفة إلى لقاء رجل كريم ، له لحية سوداء ، وعمامة بيضاء ، وجلباب أسود . وكان ذا وسامة ومهابة . وعرفت منه أنه فقيه ، فأكرمت فيه فقهه . وعرفت منه بعد ذلك أنه لا يتّجر بالفقه ولكن بالحرير ، فأكبرت فيه تحاميه عن دين الله أن يتّجر فيه . وعرفت منه أنه ذو سابقة في الثورة التي جناها الفرنسيون ، وأنه اقتحم البيوت في إطفاء الحرائق ، واقتحم الحصون ، وتعرض للموت صريحاً ، فأعظمت فيه هذه المجموعة النادرة : دين وتجارة وحرب . وقلت ما هانت بلد أنجبت مثله . وحضر إلى الفندق مبكّراً يطلب صحبتي في المدينة ، فأكبرت فيه كرماً ، واستبنت شهامة . وجرت لنا معه أيام لم تنكشف

من الأدب المعاصر :

٤ ـ ميخائيل نعيمة

الوحدة حالة نفسية ، أو أزمة نفسية أليمة تعترى الشاعر وترافقه في حياته فترة ما ، فتصحبه في تطورات شعوره وانفعالات نفسه ، وتقلبات أفكاره ، فهي تتخذ من شعره مسرحاً تظهر عليه ألواناً مختلفة ، وأزياء كثيرة متباينة . وهذه الوحدة التي عند نعيمة جعلته صوفياً متزهداً ، ففي شعره مسحة من الصوفية ، وبمراجعة قصائده يتبين ذلك . فالمطالع مثلا لقصيدة : لو تدرك الأشواك سر الزهور ؛ وقصيدة الآن ؛ وحبل التمني ، يجد فيها رنة من رنات الوحدة ونغمة من نغماته ، وهي ملازمة لروحه تأبى أن تفارقه . والشاعر لا يتأفف من وحدته فحسب ، بل يتبرم من هذه الحرب الضروس المستعرة بينها في نفسه ، بين جسمه الأرضي وروحه السماوية ، والصراع بين كيانه الحق وكيانه الظاهر ...

تعرض الحياة مشاهد شتى على الناس ، ولكن ليست كل عين ترى ، وليست كل نفس تشعر وتحس ، فما تراه هذه العين ، قد لا تراه تلك ، مع أنهما ينظران إلى مشهد واحد . فهذا يرى أشياء لا يراها صاحبه ؛ وقد يمر كلاهما بدودة صغيرة تدب على سطح الأرض فلا يراها أحدهما ، ولا تخطر في ذهنه ، ويمشي في سبيله ، وينطلق إلى حاله ؛ وقد يمر الثاني بها ، فتستوقفه الدودة ، ويرى فيها معاني كثيرة في حركاتها ، ثم لا يلبث أن ينصرف ، وفي نفسه معان ، وفي ذهنه أشياء . ويمر أمام ذهنه شريط سينمائي ، ويصبح رأسه مسرحاً لأشباح وصور متعاقبة ، وقد لا يطول الوقت حتى ترى هذه الأشباح المتعاقبة صورها في ذهنه قد تألفت ، واندمجت تلك الرسوم وخرجت في مقال أو قصيدة ، فتطالعها فتشعر كأن أشباحها سرت أمام عينيك ، ورسومها وجمت أمامك ، وأصواتها رنت في أذنيك .

ونعيمة قد مر بدودة تدب على الأرض ، فأوحت إليه بعقد فيها كثير من المواقف الفلسفية والتأملات العميقة[1] وشاعرية نعيمة كالرحالة ، فهي دائمة التجوال بين أحلام الخيال ، وبطلها ، فوق الروابي والآكام ، وعلى قمم الجبال الشاهقة وفي المنخفضات والوديان السحيقة ؛ وفي كل سياحة من هذه السياحات ، وفي كل جولة من جولاته يعود بآثار طريفة ، وذكريات قد حفرت في قلبه فلا سبيل إلى نسيانها .

(١) سبق أن نقلت بعض الأبيات من هذه القصيدة

حاله لنا فيها إلا عن أطيب المثل . وكان كريماً معوانا . وحدث من بعد ذلك أن جرى الحديث عن المرأة — عن زوجة له طلقها . فقلت له : «خسارة» فقال : «لا خسارة ولا شيء . إنها أم ولد ، كانت قبيحة» . فحسبت أنه قصد إلى إعزازها بوصف أنها أم أولاده . ثم علمت أنه إنما قصد إلى أن المرأة ماعون يُهيأ فيه الطعام ، ثم يُلقى به في الحوض عند بالوعة الماء ليُغسل من أوساره . وقال في برود شديد : «إن النساء كالنعال تقدم ، وعندئذ لا مفر من تجديدها» . أفتدري كم كانت صداقتي منه وبلبتي فيه ؟

قال صاحبي : صداقة مَن
رائعة ، فلما حلها بين يديه ، وقعت فانكسر

قلت : نعم . كانت بليّة من وقع على ورد
وتعرى نضارة ، وعلى وريقاتها ندى الصباح الباكر
أردت ضمها إلى صدري وجدت في قلبها بصقة حمد

قال : فألقيت بها إلى الأرض ، ودهستها بالرجل

قلت : لا . أشفقت على نعلي أن تتسخ ، حرمة الورد أن تمتهن .

أحمد زكي

فهو قد رحل إلى أوربا سنة ١٩١٨ ضمن الجيش الأمريكي ليحارب في صفوف جيش الحلفاء، ولم يلبث هناك كثيرا حتى رجع إلى الولايات المتحدة وقد تحطمت مثله العليا على صخرة الحقيقة القاسية. رجع نعيمة وفي جعبته كثير من ذكريات الحرب وآثارها، وقد تألمت نفسه لهذه الذكريات المرة؛ فهو في تلك الفترة لم يكن يسمع إلا دندنة الرصاص أو زئير المدفع، أو زفير الجريحي وأنين المحتضرين. وقد تجمعت هذه الذكريات وألفت فيما بينها قصيدة أخي[1]، وفي هذه القصيدة يقول:

أخي إن ضجّ بعد الحر ... ب غريقٌ بأعمالهْ
وقدّس ذكر من ماتوا ... وعظّم بطش أبطالهْ
فلا تهزج لمن سادوا ... ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثل ... بقاب خاشع دام
لتبكي حظ موتانا

أخي، إن عاد بعد الحر ... ب سعيدٌ بالإيابهْ
وألقى جسمه المنهو ... ك في أحضان عزلته
فلا تطلب إذا ما عد ... ت لأوطان الصبا
لأن الجوعَ لم يترك ... لنا صحبا نناجيهم
سوى أشباح موتانا

أخي إن عاد يحرث أر ... ضه الفلاح أو يزرع
ويَنْبَى بعد طول الهجـ ... ـر كوخاً هدّه الدفعْ
فقد جفّت سواقينا ... وهد الظل مأوانا
ولم يترك لنا الأعدا ... غرساً في أراضينا
سوى أجباف موتانا

أخي، قد تمّ ما لو لم ... نشأه نحن ما تمّا
وقد عمّ البلاء ولو ... أردنا نحن ما عمّا
فلا تندب فأذن الغيـ ... ـر لا تصغ لشكوانا
بهل انهمي لتحفر خنـ ... ـدقاً بالرفش والمعول
نوارى فيه موتانا

أخي، من نحن، لا وطنٌ ... ولا أهلٌ ولا جارْ
إذا فنا، إذا قتلنا ... ودانا الخزي والعار
لقد خفت بنا الدنيا ... كما خفت بموتانا
فهات الرفش وانهمي ... لنحفر خندقاً آخر
نوارى فيه أحيانا

فهو هنا قد وقف على كثير من حقائق الحياة وخداعها، وذاق من مرّها الشيء الكثير، وقاسى من ألمها ما قاسى، وخلص من تأملاته العميقة ومن اختباراته بأن السبب في نكبات الإنسانية إنما هي الأطماع التي لا حدود لها، والتي تسيره حسبما شاءت فيسير طائعاً وراء الأطماع.

ونعيمة يؤمن بجمال الطبيعة، ويشعر بجمالها الأخاذ في نفسه، ويرى خلف مظاهر الطبيعة الفاتنة ومشاهدها الخلابة وجمالها الرائعة صورة الإله؛ وهو يحاول أن يضم الحياة بأسرها إليه، ويشعر بجمال الطبيعة تسري في نفسه، فيحس بنشوة، ويشعر بحالة نفسية تغلو به، فينطلق ليجد الله الذي هو وطنه، ويصف النهر المتجمد[2] خير شاهد على ذلك:

أيا نهر الجليد على ... ضفاف مياهك ... فتقطعت عن الطرب؟
أم قد هرمت وخار عز ... مك فانثنيت عن السير؟
بالأمس كنت مرحاً ... بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا ... وما فيها أحاديث الدهور
بالأمس كنت تسير لا ... تخشى الموانع في الطريق
فاليوم قد هبطت عليـ ... ـك سكينة اللحد العميق
بالأمس كنت إذا أتيـ ... ـتك باكياً سليتني
واليوم صرت إذا أتيـ ... ـتك ضاحكاً أبكيتني
بالأمس كنت إذا سمعـ ... ـت تنهدي وتوجعي
تبكي وها أبكي أنا ... وحدي ولا تبكي معي
ما هذه الأكفان؟ أم ... هذي قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك ... بها يد البرد الشديد
ها حولك الصفصاف لا ... ورق عليه ولا جمال
يحنو كئيباً كلما مر ... ت به ريح الشمال

(٢) الهلال أبريل ١٩١٨ خلا من الفنون.

(٢) الرسالة: ع ٣٢٥ (١٩٣٩/٩/٢٥).

والطور يصدب فوق رأ ... سك ناثراً أغصانه
لا يبرح الحسون في ... ه مردداً ألحانه
ثانيه أسراب من الز ... بان تعلق في القضا
فكأنها ورق شبابا من ... حياتك قد مضى
وكأنما نعيمها عند الصـ ... باح وفي المساء
بوق يشيع جسمك الـ ... افي إلى دار البقاء
لكن سيصرف الشتا ... وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقا ... ل مكتنه بد الصقيع
ويكر موحتك النفـ ... ية حرة نحو البحار
جسل بأسرار الدجى ... تغني بأحلام النهار
وتعود تسم إذ تلا ... طف وجهك الصافي النسيم
وتعود تسبح في بيا ... عك أنجم الليل البهيم
والبدر يبسط من حلا ... عليك سترا من لجين
والشمس تمتر بالأزاهر ... فتكيك المازيين
والطور ينسى ما اعتراه ... من الصبابة والحنين
وتعود يشجع أنفسه ... وتعيش عصر الشبيبة
وتعود للعصفاف بعـ ... ـد التنزه أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصو ... ن ه بدل الضراب
قد كان لي يا نهر فا ... ب صاحك مثل الروح
حر كفلك فيه أهـ ... ـواء وآمال تموج
قد كان يضحي غير ما ... يسي ولا يشكو الملل
واليوم قد جدت كوجـ ... ـهك فيه أمواج الأمل
فتساوت الأيام فيه ... صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة ... نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع ... مع الخريف أو الشتاء
سيان نوح البائـ ... ـين وضحك أبناء الصفاء
جنته موصاء الحيا ... ة قال منها وانفرد
وغدا حماداً لا يحن ... ولا يميل إلى أحد
وغدا غريباً يهجر غير ... من كان قبلا منهم
وغدوت بين الناس لا ... رأ فيه لمرء منهم
يا نهر ذا قلبي أرا ... ك كما أراك مكبلا
والفرق أنك سوف تنـ ... ـشط من عقالك وهو لا

فهذه القصيدة أعدها من أروع الشعر العربي الحديث ولا أشك في خلودها وبقائها على الأيام ما بقيت في الإنسان عاطفة ، وما دام شعوره حياً .

وهذه القصيدة تصف الطبيعة العربية ، وقد اتفق بها كثير من الأدباء والشعراء المعاصرين

ري ميخائيل نعيمة أن الوزن ضروري للشعر ، لذلك نراه لا يخرج عن الأوزان المألوفة في الشعر العربي في مختلف عصوره . ولكنه يرى إلى جانب هذا أن القافية ليست من ضروريات الشعر ، ولا سيما إذا كانت كالقافية العربية روي واحد يلزمها في كل القصيدة ؛ فإذا ما ترك الروي مرة واحدة ، عدّ ذلك عيباً في الشعر ، وهذه مسألة معروفة في علم العروض .

ولهذا نرى نعيمة ينزع إلى قوافي متنوعة مختلفة ، حيث لا يلزم بالقافية الروي ، وهذا واضح في شعره ؛ ولا أدل على ذلك من قصائده ربيعة الرياح ، وقمر الدور ، والنهر المتجدد ، ومن أمت بنفس ، وصدى الأحراس ، وغيرها .

أما قوافيه الشعرية فتجمع بين السلاسة والجزالة ، ورقة الأقباط وسماحة الأسلوب ، فلا يلجأ إلى الألفاظ الضخمة والكلمات الرنانة .

وأسلوبه جميل ، وهو يحمل شعوره وصدى نفسه ، لأنه لا يلجأ إلى الصنعة ، لذلك كان شعره خارجاً من النفس ، فكان قريباً من النفس .

ونعيمة في بعض الأحايين يخالف النحو في قواعده ، والصرف في قوانينه ، ولكن ذلك في درجة محدودة جداً ، ونادرة جداً

لذلك كان نعيمة من أصح شعراء المهجر أسلوباً ، وأقربهم إلى الصحة والبيان العربي القويم .

ابراهيم جبول العربي

مقـــلاع داود

نزدحم في رواية من روايات «أنا تول فرانس» ، وقد فرغت من قراءتها في هذا الأسبوع ، أفكار شتى في الفلسفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد وما شاكلها . ولكن هذه الأفكار لا يعرضها صاحبها على شكل جامد ، فهي تأتي متقطعة مختصرة في أثناء الرواية ؛ وقد يكون هذا الطراز من العرض في مذهب الأدب الحديث أحمل في القلوب وأسهل دخولاً على الأذهان ؛ قد يكون هذا النمط من تلخيص أفكار في موضوعات رفيعة ، سواء أعرضت هذه الأفكار في قصة أم في رواية ، أشد سهولة للقارئ ، ولكن ليس هذا موضوعي في مقالي ؛ وإنما موضوعي فكر من هذه الأفكار . فقد كان بطل الرواية يبسط لابنته أمراً في الاجتماع ويقول لها : كل جماعة ذهب الناس بين أعضائها وبين الوظائف التي خلقت لها ، إلى مصيرها إلى العناء ، وقد تسبق [illegible] شديدة والاختلالات قوية فتتدمر بعوتها .

وقد سألته بنته في خلال شرحه لهذه المذاهب وأشباهها هذا السؤال : كيف نستطيع منع الظلم ، كيف نستطيع تغيير العالم ؟ فقال لها :

«بالكلام ! لا شيء أعظم سلطاناً من الكلام ، فإن تسلسل البرهانات القوية والأفكار الرفيعة إنما هو الإعصار الذي لا سبيل إلى قصفه ؛ مثل الكلام كمثل مقلاع داود ، فإنه يحطم الأشداء ، ويرمي بالأقوياء ؛ الكلام إنما هو السلاح الذي لا يكسر ، ولولا ذلك لكان العالم عبداً للجيوش المتوحشة ، فمن الذي يجبر الأشداء والأقوياء على حرمة غيرهم ، الفكر وحده ، الفكر المجرد ، العريان ، دون أي جيش كان ؟»

أحسبني لشبه سلطان الكلام بمقلاع داود ، والعرب تقول في هذا الباب : رب قول أنفذ من صول ، وقد أخذت بعد الفراغ من هذه العبارة أتأمل قوتها ، وأنظر في شدتها ، أخذت أتذكر ما استطاع الكلام في غابر الدهور وحاضرها أن يعمله ، فقد ثبت عروشاً وقوض عروشاً ، وحل عُضلاً وخلق عُضلاً ، وأنشأ صداقة وجرّ عداوة ، وأطفأ نيراناً وأجّج نيراناً ؛ ولو شئت أن أدل على سلطان الكلام لوجدت المجال فاسحة ، وإنما خطرت ببالي جملة من الأمور كان للكلام فيها الأثر الأبلغ ، وقد كان يجب عليّ أن أشير في هذا المقام إلى خطب زياد أو الحجاج لأنهما أشبه شيء بمقلاع داود ، وإنما تعدّيتها لشهرتها .

كلنا نعلم حال الناس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ارتد أولئك الناس ، فكأنهم لا يعلمون أن النبي قد مات ، فما قال لهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه : أيها الناس ! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين» !

لقد قرأنا هذا الكلام ، ولكن لست أدري هل نعرف ما حق القدر ، هل أعطيناه حقه من النظر ، هل فكرنا في العمل الذي عمله هذا الكلام ؟ لما سمعه الناس خرجوا من دهشتهم واستفاقوا من غفوتهم ، ورجعت إليهم عقولهم وثبتت فيهم عواطفهم ، وإذا بالأمر الجليل وهو وفاة نبي خلق أمة ، وجاء بدين ، وأخرج قوماً من عالم إلى عالم ، وأدخل عليهم أفكاراً لا عهد لهم بأمثالها ، وعواطف لا صلة لهم بأشباهها ، إذا بالأمر الجليل يعود أمراً مثل كل أمر ، فيندفع الإسلام في قوة وإن ذهب صاحبه ، ويستفيض هذا الدين في مجامع الآفاق ؛ فلولا كلمة قالها أبو بكر في حينها لما علم إلا الله وحده عواقب دهشة المسلمين من وفاة نبيهم

وكما كان للكلام سلطان في تثبيت أمة وتثبيت دين ، فقد كان له سلطان في تثبيت دولة ! امتنع أهل مصر في الأمس من الخراج ، فقدم مصر عتبة بن أبي سفيان ، فقام خطيباً فقال : يا أهل مصر ! قد كنتم تمتنعون لبعض المنع منكم بعض الجور عليكم ، فقد وليكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ، فإن رددتم رادكم بيده ، وإن استعصيتم رادكم بسيفه ، ثم رجا في الآخر ما أمل في الأول . إن البيعة متتابعة ، فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ، فأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه ، والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طابقناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزا بناجز ، ومن حذركم بشر ، فنادوه : سمعا وطاعة ، فنادهم : عدلا ! عدلا !

فهذا كلام لم يلجأ فيه عتبة بن أبي سفيان إلى سوط أو إلى سيف ، ولولا قوة هذا الكلام لأمين أهل مصر في منع الخراج عن الدولة ، وإذا منع الخراج فكيف يكون مصير الحكومات ، وأي حياة [illegible] للخراج ؟! فإذا تباعدت المسافة بين الشعب وبين الحكومة ، فكره الشعب حكومته لخرج على قوانينها ومنع عنها خراجه ، ونقمت الحكومة على الشعب فصبت عليه نقمتها ، صاحت الحكومة والشعب في وقت واحد . وقد أدرك عتبة هذا كله ، فسأل أهل مصر السمع والطاعة وسألوه العدل ، فأعطوه سمعهم وطاعتهم وأعطاهم عدله ، فعاش أهل مصر وعاشت الحكومة في خير . كل هذا بفضل كلمة كانت أشد من مقلاع داود ، ولكنها اشتملت على الحياة ولم تشتمل على الموت ، لأنها مصدر برهان قاطع وفكر رفيع ، وهذا الفكر أوحى به قلب صادق ! ومتى اجتمع إلى شدة الكلام رقة الفكر وصدق القلب ، نفذ هذا الكلام أعماق القلوب ، وعمل فيها ما تعمله الجيوش !

وقد يكون الكلام سبباً في تثبيت رجال الدولة كما كان سبباً في تثبيت الدولة نفسها . بلغ عبيد الله بن زياد أن سلمة بن ذؤيب الرياحي قد جمع الجموع يريد خلعه بعد موت يزيد بن معاوية ، فصعد عبيد الله المنبر فقال : يا أهل البصرة ! السوق ، فوالله ما يناجر أبي إلا إليكم ، وما يوالدني إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم ، والله لقد وليكم أبي وما مقاتلتكم إلا أربعون ألفاً فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ورثكم إلا ثمانون ألفاً وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف ! وأنتم أوسع الناس بلاداً ، وأكثره جنوداً ، وأبعد مقاداً ، وأغنى الناس عن الناس . انظروا رجلاً تولونه أمركم ، يكف سفهاءكم ، ويجبي لكم فيئكم ، ويقسمه فيما بينكم ، فإنما أنا رجل منكم . فأبوا غيره !

[illegible] هذا الكلام تمت عبيد الله بن زياد إمارة ، ولكنه دخل الأمور من أبوابها ، فقد أخذ باللين ولم يأخذ بالعنف ، [illegible] موت يزيد بن معاوية ، فلا بد له في مثل هذا [illegible] ، ولو كان يمكث الأمر على نحو [illegible] إلى العنف ! ولكن استعطف أهل البصرة فقد عرف كيف يستعطفهم ، ذكرهم بهجرة أبيه إليهم ، وبنشأته بين ظهرانيهم ، ولا شك في أن هذه الذكرى تتضمن كثيراً من موجبات العطف ! ثم خرج من أفق العاطفة إلى أفق العقل ، فلخص لهم أعمال أبيه في البصرة مثل تكثير الجيش وتكثير الذرية وتكثير الرزق ، وهذه أمور فيها صلاح البصرة ! ولكن كلام عبيد الله بن زياد لم يعمل في أهل البصرة عمله إلا لأنه صورة سياسة رشيدة ، ولن اختياره لهذا الطراز من الكلام [illegible] في التنبيه على هذه السياسة والإشارة إلى محاسنها ؟ فلولا كلام عبيد الله ابن زياد ، ولولا فكره في مقام مثل هذا المقام ، لما استطاع أن يمكث زمام الأمور والفتنة على الأبواب ، ولا يعلم إلا الله مصيرها !

دمشق | نقيب عريف

الشعر المستعار

عند الأقدمين

بقلم كوركيس عواد

إنّ كان المدنية الحديثة يدٌ طولى فى ابتكار أساليب التجميل ، والتفنّن فى ضروبها ، فإنّ المدنية القديمة لم تعدم نصيبها من هذا الشأن . وقد وقفنا على أخبار شتّى تدلّ على ما كان من عناية الأقدمين بستر معايب الجسم ، وإخفاء نقائصه ، والظهور بمظهر رضى مقبول . ومن ذلك اتخاذ الشَّعر المستعار ، أى المصطنع للرأس أو اللحية . فقد قال أبو الفرج الأصفهانى فى حلاوة الرواة : « إن ابن سُرَيج المغنّى الشهير ، [illegible] وصَلِعَ ، فكان يلبس جُمّة [illegible] ما يرى مقنّعاً . . . » ثم قال فى [illegible] فكان يلبس جُمّة ، [illegible] يُسْبِل القناع على وجهه »[1] .

ونظير ذلك ما رواه الأصفهانى فى حكاية طريفة ، جاء فيها أن جميلة المغنّية الذائعة الصيت « جلست يوماً ولبست بُرْقُعاً[2] طويلاً ، وألبست من كان عندها وأنس دون ذلك . وكان فى القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلع قد اتخذ وَفْرَةً[3] شعر بعضها على رأسه . وأحبّت جميلة أن ترى صلعته ، فلما بلغ البُرْقُع إلى ابن سريج قال : دُبِّرْتِ علىّ ورب الكعبة ! وكشف صلعته ووضع الصُّلْنَبِيَّة على رأسه ، وضحك القوم من قُبح صلعته »[4] .

(١) الأغانى (١ : ٢٤٩ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٢) البرقع على ما فى تاج العروس (٤ : ١٠٨) قلنسوة حريرية كان الناس يلبسونها فى صدر الإسلام .
(٣) الوفرة وجمعها الوفر : ما سال من الشعر على الأذنين .
(٤) الأغانى (٨ : ٢٢٦) .

إلى أن قال : « ثم دعت بثياب مُنصبَّغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج ، فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ... »[1] .

ومما رواه الأصفهانى فى هذا الصدد ، أنّ جميلة هذه « جلست يوماً للوفادة عليها ، وجُعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسْدَلَةً كالمقانعة إلى أعجازهنّ ، وألبسهنّ أنواع الثياب الصبّغة ، ووضعت فوق الشعور التيجان ، وزيّنهنّ بأنواع الحلى ... »[2] .

ومن هذا القبيل وضع اللحى المصطنعة ! فقد كان بعض المحدّثين « لا يقبل فى مجلسه من لم يكن ملتحياً ، خوفاً من قصص الغرام فيما يظهر . ويُذكر أنّ صبياً كان شديد الرغبة فى سماع الحديث ومُنِع من ذلك ، فاتخذ لحية مصطنعة »[3] .

وأقرب ما انتهى إلينا من أخبار اللحى المصطنعة ، ما رواه الطبرى [illegible] طويل ساقه فى حرب يزيد بن المهلّب [illegible] سنة ٩٠ للهجرة (٧٠٨ م) ، فقال : « ... ولبس يزيد ثياب طبّاخه ، ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج . فرآه بعض الحرس فقال : كأنّ هذه مشية يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً ، فرأى بياض اللحية ، فانصرف عنه فقال هذا شيخ ... »[4] .

وهذا الخبر بعينه نقله ابن الأثير[5] عن الطبرى باختلاف يسير ، ولا حاجة إلى إيراد قوله .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) الأغانى (٨ : ٢٢٧) .
(٢) الأغانى (٨ : ٢٢٧) .
(٣) متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (الترجمة العربية ٩ : ٣٠٢) .
(٤) تاريخ الطبرى (٢ : ٢٠٩ ، طبعة دى خوية) .
(٥) الكامل فى التاريخ (٤ : ٤٣٢ طبعة تورنبرج) .

أدباء الأمم العربية

ودعوتهم إلى عقد مؤتمر عربي

منذ أكثر من عشر سنوات والدعوة إلى عقد مؤتمر لأدباء الأمم العربية، أمنية تراود نخبة المكثرين من أدباء ومثقفي الأقطار العربية، منوهين بواسطة الصحافة والإذاعة والمحاضرات والاجتماعات بضرورة عقد هذا المؤتمر، ليساعد على معرفة أعلام الأدب والشعر والفن في الأقطار العربية بعضهم مع الآخرين، فيوحدوا جهودهم الأدبية، ويوفقوا من شأن الفكر العربي ليأخذ مكانته بين آداب الأمم الأخرى.

وقد ارتفع أول صوت بالدعوة لعقد مثل هذا المؤتمر من تونس، وذلك في عام ١٩٣٤ حين قام أدباؤها [illegible] لهذا المؤتمر، فأذاعوا مختلف النشرات [illegible] التحضيري لصحافة البلاد العربية بروح الفكر [illegible] وكتبت الصحافة العربية حينذاك [illegible] إعلاء هذه الدعوة والسعي لنجاح هذا المؤتمر، وحثت أدباء العربية على لزوم مساعدة الساعين لعقده؛ ولكن حربت شهور ما لبثت بعدها هذه الدعوة أن خلت لعدم تلبية الأدباء لها.

ثم مات شوقي واجتمع لتأبينه في القاهرة أعلام الشعر والأدب، وفكر بعض الأدباء في ضرورة عقد مؤتمر أدبي يجمع أدباء الأمم العربية سنويا في إحدى عواصم البلاد العربية؛ وأذيع في وقته أن لجنة تحضيرية قد تشكلت لدرس هذا الموضوع الذي وافق الإجماع من الأدباء، ولكن ما لبث أن عاد هؤلاء الأدباء والشعراء كل إلى بلده، وماتت الفكرة في القاهرة.

وبعدها ارتفع صوت من لبنان وأحرز أنه صوت الأستاذ (إبراهيم سليم النجار إصاحب جريدة الدهر الروحية والباحث المؤرخ في الشؤون العربية)، فنادى بإحدى المناسبات بعقد مثل هذا المؤتمر الأدبي، الذي ستكون فائدة القمة والأدب منه جلية، علاوة على الدوى والسمعة التي يكتسبها أدباء العرب من اجتماعهم، وتبادلهم شؤون الفكر وما جد من التيارات الأدبية في العالم. وسيكون من شأن هذا المؤتمر توجيه الأدباء نحو السبل المؤدية إلى خدمة الأدب العربي، ناهيك عن إزالة بعض الضغائن الموجودة بين الأدباء، ولكن هذا الصوت أيضاً ذهب مع الريح.

وبمناسبة الاحتفال بالشاعر العربي أبي العلاء المعري لمرور ألف عام على مولده، واهتمام كافة البلاد العربية بتمجيد هذه الذكرى لشاعر ملأ الدنيا دوياً، ارتفع صوت من مصر على صفحات مجلة «الثقافة» ينوه بكثرة المؤتمرات العلمية التي تعقد الآن في عواصم البلاد العربية، ويزاور رجال السياسة العرب واجتماعاتهم ويقول:

[illegible] أن عقد هذه المؤتمرات كلها ويجتمع [illegible] مع مصر ويزاورون، ولا يفكر أهل الأدب في [illegible] يجمع أدباء مصر إلى أدباء الشام والعراق والجزيرة وبلاد المغرب، وهم كانوا أولى بالسبق...»

ثم تمنى الكاتب أن يكون المؤتمر الذي يعد له الآن في سوريا احتفاء بذكرى أبي العلاء، والذي سيشترك فيه أعلام أدباء وشعراء البلاد العربية وأن المؤتمرات العربية يجتمع فيها أدباء الأمم العربية كل عام، في القاهرة أو غيرها من عواصم الشرق العربي.

هذا ما كتبه الأستاذ الأديب (قطب) في الثقافة؛ وطالعت بعد أسبوع مقالا للأديب السوري المعروف الأستاذ صلاح الدين النجدي في مجلة (العالمان) ألحظ فيه بضرورة عقد مثل هذا المؤتمر الأدبي، مؤكدا أن الاتحاد الروحي لابد أن يتم قبل الاتحاد السياسي، وهو يعتقد أن هذا المؤتمر إذا لم ينتج عنه إلا أنه رفع المحبين الأدباء، وزيد في التآلف والصفاء، وقوى العطف والمودة، وتوحيد

الهوى ، فهو يكفى .

والحقيقة أن ما دعت إليه هذه الثقافة وما كتبه باقى الأدباء جدير بالتفكير والنظر ، حيث إن الدعوة إلى عقد مؤتمر لأدباء العرب من أهم ما يتطلبه الوضع الحاضر فى البلاد العربية ، التى تريد أن تجمع كيانها السياسى فى اتحاد عربى يضاعف من قوتها ، ويساعد على نموها فى كافة شؤون الحياة .

إن حاضر البلاد العربية الآن يشخص عن أمور جسام ، ويختار مرحلة دقيقة من تاريخها الحافل بمختلف التيارات ، لذا يجب توجيه هذه الشعوب منذ الآن نحو الأهداف الكفيلة بتوطيد كيانها ودعم قوتها وثقافتها ، وجميع ما يتطلبه وضعها من تهذيب وإصلاح .

وليس بإمكان ساسة هذه الشعوب القيام بكل هذه الأمور ، بل ليس بإمكانهم عمل أى شىء من الإصلاح إذا لم يتعاون معهم رجال الأدب فى [illegible] تهيئة الرأى العام وإرشاده إلى الغرض [illegible] وتنمية مداركه والسير به فى طريق الكمال والتطور [illegible] ولا يتم هذا إذا كان أدباء الأمم العربية متباعدين ومتفرقين ومتخاصمين ، لأن أصواتهم حينذاك لا يتردد صداها وفق ما تريده قوتية الأمة العربية وحتى الوفى فيها ، وإصلاحها السياسى والثقافى ، بل يجب عليهم أن يتعارفوا ويجتمعوا ويتحابوا لكى يكون عمال الثقافة على الإصلاح المنشود .

وهذه هى الغاية من السعى فى سبيل عقد (مؤتمر لأدباء الأمم العربية) ، يجتمع فيه أدباء العرب من مصر ولبنان والعراق وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية وبلاد المغرب ، فيتعارفون ويتآلفون ويتباحثون فى مشكلات بلادهم ، وتوجيه الجماهير العربية نحو الهدف الذى يكفل سعادتها وهناءها ، ويثير لها المستقبل على ضوء هدى هؤلاء الأدباء وقادة الفكر .

فالاتحاد العربى الذى تتهيأ البلاد العربية لدخوله بعد مشاوراته فى القاهرة ، لم يكن سوى فكرة أدبية مهد لها الأدباء والكتاب بأقلامهم وبحوثهم منذ سنوات حتى تهيأ الرأى العام العربى له ، ونضج فى أذهان ساسته ، فكانت النتيجة أن توصلت الأمم العربية إلى أولى درجات الوثبة العربية .

ثم هناك مشاكل فى الأدب والنقد والتأليف فى البلاد العربية ، سيكون من شأن هذا المؤتمر تنظيمها وتوجيهها وفق السبل التى يراها كفيلة بنهضة الأدب العربى ليجارى آداب الأمم الفكرى فى مادته وعمقه .

وينبغى أن مؤتمراً لأدباء الأمم العربية إذا تم فقد سيكون نتائجه أعظم بكثير من عشرات المؤتمرات التى عقدت ولا تزال معقودة فى مختلف عواصم البلاد العربية ، وليس هناك أى محذور يمنع عقد هذا المؤتمر إذا رغب الأدباء فى ذلك . ولكن يجب أيضاً على الحكومات العربية أن [illegible] مؤتمرات الأدبية التى تعقد فى بلادها [illegible] بها [illegible] اللغة والمعنوية ، لكى تضمن بذلك وتأييدها للإصلاح الاجتماعى واللغة والأدب .

أما من أعمال المؤتمر ، والجهة التى يصدرها ، والمشروعات التى يقوم بها ، والتوجيه الذى يسير عليه ، فهذا من شأن أعضائه وما سيقررونه . وإنما الذى يهمنا ألا تذهب مثل هذه الدعوات سدى ، بل يجب على أعلام الأدب العربى أن يفكروا سريعاً فى عقد مثل هذا المؤتمر الذى ستكون نتائجه عظيمة للأمة العربية ولثقافتها وأدبها .

(يتبع) مهدى القزاز

ضحى الاسلام

يباع كل جزء من أجزائه بأربعين قرشاً

سيد الصين وأديبها

بقلم ارنست هارسر

السفير هوه شيه أحد رجلين يعتبران مسؤولين إلى درجة بعيدة عن وجود الصين الديموقراطية الحديثة . فقد كان من بات — سين منشئها السياسي ، في حين كان « هوه شيه » عميد كلية الآداب بجامعة بيكين في ذلك الحين واضع الأسس الفكرية التي ما كان للصين أن تنهض بدونها وتوجد كيانها الأصيل . ولسوف تدعوه القرون القادمة « أبا النهضة الصينية » .

مجّ فلاسفة الغرب في أخريات القرن التاسع عشر روح الغرب المادية ، وأظهروا امتعاضهم منها واستدعوا « حكمة الشرق » . واعتبرت نظم الحياة التي كانت سائدة في الصين منذ ألفي سنة سابقة — أي في عصر — مثالية من المثبتات السائدة خارج نطاق الاستعمار . وانبرى هوه شيه أكثر من سواه لدراسة هذه الفكرة وأشار إلى أن نظام العمل الصيني ومستوى المعيشة المنحط يبدوان من آثار الروح المثالية العالية ، وإنما هما من نتائج الانحطاط وفقدان الحضارة . وكذلك رأى هوه شيه أن الصين تحتاج — أول ما تحتاج — إلى لغة جديدة . واسهم في عالم الإصلاح اللغوي بسطع إلى جانب اسمي دانغ وشوسر ؛ وهو — مثلهما — مجدد الحوار الدارج في عصره وبين قومه ، وجعل منه أدبا رفيعا . ولقد ظلت الكتابة الصينية تعتبر لغة مصورة يعز فهمها إلا على الأدباء وكان لابد لمن يريد الإلمام بها إلماما وافيا أن يعرف زهاء ٤٠٠٠ حرف .

وتحقق هوه شيه منذ بدء تعلمه الكتابة أن اللغة الصينية في حاجة إلى تنقيح وتجديد . فبدأ حملته في عام ١٩١٦ عند ما تخرج في جامعة كولمبيا . وحدث أن انطلق طائفة من أصدقائه في نزهة بحرية يحدّثون ، فهبت زوبعة قلبت الزوارق ، وسقط أفراد الجماعة في الماء . وتخليدا لهذا الحادث نظم أحد أفراد الجماعة قصيدة باللغة الصينية القديمة ، وبعث بها إلى هوه شيه لنقدها . ولقد كان الاختلاف بين موضوع القصيدة وطريقة عرضها ، داعيا إلى أن يكتب مقالا جعل عنوانه التواضع ، « طائفة من المقترحات التجريبية لتجديد الآداب الصينية » . ولقد أثار نشر ذلك المقال في إحدى المجلات الصينية المتطرفة تعليقات كثيرة .

وغالباً ما كان كتّاب الصين القدماء يستخدمون اللغة المصوّرة لإخفاء ما يقصدون إليه من معنى لا لإظهاره وجلائه . مثال ذلك ما أثر عن كونفوشيوس إذ قال : « نجهل الحياة فكيف نعرف الموت ؟ » . واستخدم هوه شيه حروف الكتابة القديمة نفسها ، ولكنه قال في [illegible] : « أنت لم تعرف شيئا من الحياة ، فكيف تستطيع أن تعرف شيئا من الموت ؟ » ، وطعّم لغة الكتابة بنوع من العبارات العامية الدارجة . وكانت النتيجة أن ظهرت لغة جديدة اسمها « باي — هويا » وممناها « الحديث الواضح » .

وعند ما عاد هوه شيه إلى الصين التحق بالجامعة الوطنية مدرّساً وهو في السادسة والعشرين من عمره ، ولقد أيّده في حماسته أساتذتها الأذكياء المجددون . ولم يأت عام ١٩٢٨ حتى كانت لغة « باي — هويا » الجديدة قد راجت في الصين من أقصاها إلى أقصاها .

وهكذا قضت حركة هوه شيه على روح الاحتكار الفكري لطائفة قليلة من الصفوة الممتازين ، الذين راحوا يستخدمون معلوماتهم لتضليل أربعمائة مليون من أهل الصين الذين أخنى عليهم الدهر ؛ وراجت الصحف — التي يحررها رسل لغة « باي — هويا » الجديدة — تطالب ببعث الصين ونهوضها . وطعمت الكتب باللغة الجديدة ،

واقترب بكثير من القصص الشعبية العظيمة مثل « جميع الناس إخوة » — وقد كان الأدباء لا يقدرونها — كنماذج من الأدب الرفيع . وأخيرا طالبت الحكومة الجديدة بطبع الكتب المدرسية بلغة « باي — هوبا » .

ولد هوه شيه منذ خمسين عاما في بيت أجداده بمقاطعة آنهوي . وكان أبوه موظفا صغيرا في الحكومة توفي وولده في الرابعة من عمره . وكان هوه شيه من ذلك الطراز من الناس الذي يتضح قبل الأوان . ولقد أحدث أمه الطموح على ما تمثلها مهمة صقل ذهنه وتكوين خلقه ؛ ولقد كان وهو في الثالثة من عمره يعرف ٨٠٠ حرف من الحروف الصينية ، ولم يكن يرغب في اللعب مع سواه من أطفال القرية وكانوا يصيحون كلما مرّ بهم متأبطا كتبه — « ها هو ذا العلم قادم » ، وسافر إلى شنغهاي عند ما بلغ الثالثة عشرة لتلقي العلم فيها ؛ وفي تلك البيئة الثائرة [illegible] جديدة باعثة على الحيرة والارتباك [illegible] ما تناهى إلى سمعه منها — [illegible] إشاعات وأوهام .

وتعلّم في تلك المدينة اللغة الإنجليزية والتاريخ والفلسفة ؛ وكتب مقالات هدامة حارب فيها الخرافات والتعصب . ولقد كاد في بعض الأوقات قصص الحرمان والفاقة حتى لقد اضطر إلى قطع جل دراسته ، وتعلم مبادئ اللغة الإنجليزية مرسلا كل ما كان يحصله من مال لوالده ؛ وكان يسهر الليل بطوله متحدثا إلى أصدقائه ، ومقامرا في سبيل أرباح خرافية . وكان يسكر من احتساء بعض المشروبات الرخيصة ، وهبط « هوه » الشاب ضيفا على السجن في إحدى سكراته المريدة ؛ وفي صبيحة اليوم التالي رحل إلى بيكين حيث جاز امتحانا قاسيا مهّد له الظفر بدراسة مجانية في إحدى الجامعات الأمريكية . وقبل سفره إلى أمريكا اتخذ لنفسه اسم الرجولة جريا على العادة الصينية ولقد اختار اسم « شيه » ومعناه بالصينية « صالح » ، وذلك جريا على مبدأ داروين القائل بأن البقاء للأصلح . واسم « هوه » معناه « الدوري اللحني » ، وهو لقب الأسرة وعلق الاسم بأكمله « هوه شيه » .

والتحق هوه شيه بجامعة كورنيل في عام ١٩١٠ ، وواظب على كتابة يومياته طوال عهد الدراسة ؛ ولقد نشرها في أربعة أجزاء ، ولا تزال حتى اليوم أكثر المطبوعات رواجا في الصين . ولما ظهر نبوغه في الفلسفة عمل بعد تخرجه في الجامعة مساعدا للعلامة جون ديوي الأستاذ بجامعة كولومبيا ، وهو يقول إن ديوي ضحك منه وجلا من الناحية الفكرية . ومهدت له نبوغه الفكرية في عمله ذلك الحصول على درجة الدكتوراه العلمية ، أما درجات « الدكتوراه » السبع عشرة الأخرى فقد كانت [illegible]

وفي عام ١٩٣٠ تحقق مطمح هوه شيه الذي ظل [illegible] عمره عندما اختير عميدا لكلية الآداب [illegible] أصبح رمزا للأدب في الصين كلها [illegible] وهو [illegible] له أن يصبح سفيرا بلاده في الولايات المتحدة .

وعند ما قدّم الدكتور هوه شيه أوراق اعتماده في واشنطون منذ ثلاثة أعوام كان اسمه أنبه الأسماء الصينية وأبعدها صيتا في هذا الجانب من المحيط الهادي . وهو معروف بأنه أكثر مما هو معروف كرجل من رجال الدبلوماسية ، حتى أن إحدى الجامعات كتبت إلى السفير الصيني في الربيع المنصرم تقول :

« نرجو لو تمكن سعادتكم من إلقاء خطاب الجامعة الافتتاحي . فإذا كان ذلك مستحيلا فهلا تكرمت علينا فأخبرتنا كيف نستطيع الاتصال بالعالم الصيني العظيم الدكتور هوه شيه » ؟

ولقد عُرِضَتْ على « الخبز الجرمو » [illegible] لشيات فائقة طويلة بأسماء الدبلوماسيين القادرين ، ليختار من

بينها من يستطيع دل، منصب سفير الصين في واشنطون. ولكن الصين الفتية الناشئة كانت في حاجة إلى رجل يستطيع أن ينفذ بسحر شخصيته إلى قلوب أفراد الشعب الأمريكي؟ ومن أجل هذا كان هوه شبه النحيل الجسد، الأشيب الشعر، خير مرشح لذلك المنصب. ويؤثر عنه أنه قال لشيانج كاي تشيك: «لا تنتظر مني أن أستجدي مالا أو أقوم بدعاوة ما». ولقد احتفظ إلى حد ما بتلك الخطة حتى الآن مما يثير دهشة حكومته في بعض الأحيان. وحدث ذات مرة أن بعثت إليه وزارة خارجية بلاده بمبلغ ستين ألف دولار لتنفق في أغراض السفارة، فأعاد الحوالة إلى الوزارة مفضلا، وكتب يشرح السبب في إرجاع المال، قال: «إني في خطبي ما يكفي للدعاية وهي لا تكلفكم شيئاً». ولما كان غير خبير بمسائل القروض والتسليح بعث الصينيون بالإخصائيين لتدبير أمورها.

وراجت إشاعة بأن [illegible] مؤداها أن الاتفاق قديم بين أمريكا [illegible] ولأول مرة في حياته الدبلوماسية [illegible] العبارة، وقد رباطة جأشه، وتوجه إلى البيت الأبيض حيث ذكر الرئيس روزفلت بعهوده الكثيرة التي قطعها على نفسه للصين. وعلى إثر تلك الزيارة قضى روزفلت وكورديل هل على تلك الإشاعة الخطرة، بأن أخبرا اليابانيين صراحة بأن الولايات المتحدة ثابتة على موقفها.

ومن عجب أن يكون هوه شبه الثائر محافظا في حياته الخاصة. وعلى الرغم من أنه وجد رفيقا ساحرا في شخص طالبة صينية حسناء في فاسار (وكانت قد ألفت زيارته في كورنيل حيث كان يجذب معها في زورق عبر البحيرة متحدثا إليها في شؤون الفلسفة)، فقد أطاع والدته وتزوج الفتاة التي اختارتها له عند ما كان في الحادية عشرة. ولقد توفيت في تونج — حسب كافة الفضائل المأثورة عن الزوجة الصينية، فهي طاهية ماهرة، وتتحدث معارفها بداعتها في إعداد الفطائر المشوية بالسمن؟ وهي تحب زوجها وتعجب به، فهو الذي علمها القراءة والكتابة، ولكنها تراه بعيد المطامح. ولقد أنفق شهور الطويلة في سبيل إقناعها بأنه لا غبار عليه أن يصبح سفيرا. ولما كانت مسز «هوه» لا تتكلم الإنجليزية فهي تمد طابا إلى دفن وجهها في كمها الفضفاض، مرسلة ضحكات الخجل في حضرة الضيوف الأجانب.

وأنفق هوه شبه أسعد أيام حياته في منزله العصري الطراز بمدينة بيكين. أما اليوم فهو يحس بحرمانه من «السرات البيتية». وعلى الرغم من أن ولديه يدرسان في بعض الكليات الأمريكية الآن، فإن مسز هوه تعيش في الصين اعتقادا منها أن وجودها في واشنطون قد يكون [illegible] لا تبارح زوجها وقلقه.

[illegible] هوه شبه في دار السفارة أفواجا لا نهاية لها من [illegible] كثير من الأدباء الممتازين. وحدث [illegible] مرة أن وجهت إحدى الشابات إلى هوه شبه السؤال التالي: «ما هي أعمالك يا سيدي السفير؟» فأجاب هوه شبه — «أوه! خمسة وتسعون في المائة منها متصل بالشؤون الاجتماعية». فأعادت الفتاة الكرة سائلة: «وماذا عن الخمسة في المائة المتبقية؟» فقال السفير: «دعيني أفكر في ذلك». إنها تتعلق بالمسائل الاجتماعية كذلك». ومن مظاهر نشاطه الاجتماعي أن يخطب في جمعية تجار نيويورك ونادي الاتحاد الرياضي، ويحاضر في جامعة «ييل» وعشرات غيرها من الجامعات. وعلى الرغم من تعلق هوه شبه بالأدب فقد أحرز خبرة وثيقة بالشؤون الفنية، ويكفي أن يسمعه المرء متحدثا عن مزايا «القلاع الطائرة» — وهي من أطرف الطائرات التي تستطيع الصين أن تغير بها على بلاد اليابان — ليعلم أن الحرب لا تواجهه بالفلسفة المتدمة وحدها.

ونشر هوه شيه مؤلفات بينها كتاب « تاريخ الآداب الصينية » و « مختارات للأغاني الصينية » وطائفة كبيرة من الموضوعات ومئات من القصائد الدارجة . وحرّر مجلات مختلفة أدبية وسياسية ، وأعان على ترجمة كثير من روائع الآداب الغربية إلى اللغة الصينية . وقد جعل آثار كرنفوشيانس قريبة من متناول يده ، وسائلة مع مداد قلمه .

وكان من آثار تعلقه الشديد بالسلام فيما مضى أن حمل عليه بعض المتطرفين الصينيين وناوءوه خائنا . وقد ناهضته حكومة تشانغ كاي تشيك الوطنية من حرب واحد سنوات عديدة ، وحمل عليها حملات لاذعة ، بيد أنه عندما صارت الحرب ضد اليابان أمراً لا مفر منه — وكان تشانغ كاي تشيك قد ساوره الشك في أفراد حزبه الذين لا يعرفون سوى الموافقة على طول الخط — جمع حوله قادة أشد منتقديه صراحة ليرى ما إذا كان من الواجب المساومة أو المقاومة ؛ ودفن الجندي والأديب أحقادهما القديمة ، ومع ذلك فإنه لما لم يتقدم هوه شيه السفير حكومته [illegible] الانضمام إلى حزب « الكومنتانغ » [illegible] عضوية الحزب لابد منها في سبيل قيامه بأي واجب سياسي ، فإن الصين لن تكون بلدا ديموقراطية » .

وعلى الرغم من أن هوه شيه رجل أنيس ، إلا أنه ليس من المغرمين المتطفلين بالمجتمعات ، وهو لا يختلط كثيرا بالجالية الصينية في أمريكا ، وهم يواظبون على دعوته إلى حفلاتهم ، ولكنه يغيب عنه دائما سكرتير السفارة . ولما كانت أسرة هوه شيه من ولاية آنهوي ومعظم الجالية الصينية في أمريكا من مقاطعة كانتون فالسفير في اعتبارهم غريب عنهم .

ولقد كف هوه شيه عن بحوثه وكتاباته بعد أربع سنوات أمضاها في جو السياسة . وهو يتوق إلى الهدوء مرة أخرى للقيام بجولة واسعة في البحث العلمي ، يتجز فيها كتابه عن « تاريخ الآداب الصينية » . غير أنه لا مناص لأديب الصين الأعظم من مواصلة القيام بوظيفة السفير ما دامت هذه المحنة . والذين يقابلون ذلك الرجل القوي الجسم الواثق ، يعرفون السر في امتناع هزيمة أهل الصين البالغ عددهم ٤٠٠ مليون نسمة . ويقول هوه شيه في تواضع : إن وحدة أمته القومية التي عمل على تكوينها واحد وعشرون قرنا لا يمكن أن تنصدع بهما سنوات دموية قليلة .

أقفر الشاطئ

يا مغانينا على الشط سلاماً ... أين عهدي؟ آه لو عهدي دواما
بين حنيٍّ لهيب صاخبٌ ... طاف بالأحشاء يرويها سقاما
وبعيني من جواها أرقٌ ... يا هواها هل أميبي أن تناما؟
أيا لحتى وحرام أن أرى ... لذة النوم على العين حراما

.....

يا ليالينا وصل من لحظة ... لحظة منكن تمحي مسهاما
ولتكن يا دهر للعمر اختتاما ... [illegible] راسيا

.....

[illegible] ... شهد العمر وفاء وغراما
[illegible] ... كان كالحلم وكالزهر ابتساما
[illegible] ... أشعل القلب كاشتات هياما
أنا لن أبرأ من علته ... وسأفنى في الهوى عاما فعاما
لن يحيد القلب عن غايته ... إن تكن ناراً فلظى وضراما

.....

إنني فيك غريبٌ مفردٌ ... صحت يا شاطئ ودي والهياما
في فنون الأمس كنا هاهنا ... نتساقى الكأس صفواً ومداما
ونداماي على العهد معي ... أين ولى ومضى عنك الذي
ناجموني وارتضوا لي حيرتي ... بالمضى ذاق جفاء الخصاما
بات والليل على وحشته ... كم سيلقى كم سيشقى أو لاما!

.....

أقفر الشاطئ إلا أنني ... لم أجد إلا بذكراه اعتصاما
أطلب السلوى فلا ألقى سوى ... جرحي الموجع لا يبغي التئاما
وأرى الذكرى فأبكي حينما ... أجد الأيام عني تتعامى

(القاهرة) مصطفى علي عبد الرحمن

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

حول
مستقبل الأدب العربي

كتب الأستاذ أحمد أمين بك مقالات عنوانها « مستقبل الأدب العربي » أخذ فيها على أدبنا مآخذ ، ورأى في ماضيه آراء ، واقترح لمستقبله خططا . والأستاذ بارك الله فيه ، يعالج بين الحين والحين أمرا خطيرا في أخلاقنا ، أو سننا الاجتماعية ، أو لغتنا وأدبنا . وهو موفق إلى الصواب في كثير من مقالاته ، مشكور عليها كلها شكر الجهد المخلص الذي يعني نفسه ليهدي أمته سبيلها ، ويدعوها إلى تقويم المعوج من أمورها .

وقد بدا لي في مقاله الأخير ، الذي تكلم فيه عن أدب العامة وأدب الخاصة ، آراء أردت أن أعرضها عليه وعلى القراء . ولعل الأستاذ الفاضل لا يقول : ما بال فلان لا يكتب في مشاكلنا ولكن يعترض ، ولا يبتدئ ولكن يعقب . لا يقل الأستاذ هذا ، فإني لا أجادله إلا قليلا حين لا أجد من الجدال بدا ، وربما تتوالى أعوام لا أعترض له فيها رأيا . وقد مضى على مناقشتي إياه في الأدب الجاهلي أربعة أعوام ، لم أجادله فيها .

الأستاذ يتناول في مقالاته وفي إذاعته ، وفي أحاديث مجالسه ، كثيرا من أمورنا بالنقد تأدية للأمانة التي حملها العلماء ؛ ولكن يبدو في نقده أحيانا نزوع إلى الثورة الفكرية من أجل الإصلاح ، بل يعلن بها أحيانا . والثورة إذا لابست رأيا أو بحثا ، عمته لما يكون فيها أحيانا من تعسف ومغالاة ، واضطراب الصلة بين المقدمات والنتائج ، والمسارعة إلى الرأي قبل أن يوفى حقه من النظر والتمحيص .

* * *

كتب الأستاذ مقاله الأخير في أن الأدب العربي أدب خاصة لا عامة ، وأن مرجع هذا إلى سببين : غلبة الأمية ، وأن لكل أمة عربية لغتين ، لغة للكتابة ولغة للخطاب . ورأى أن تزال الأمية ، ويرفع الإعراب مما يقال ويكتب للعامة الخ .

وقد بدأ الأستاذ مقاله بقوله : « يعاني الأدب العربي الآن مشكلة من أكبر المشاكل ، وهو أنه أدب الخاصة ، وليس للعامة أدب » . ولست أجادل الأستاذ على ظاهر دعواه ، فأقول إن للعامة أدبا محفوظا ومكتوبا ، منه دواوين وأزجال وقصص كتب كله باللغة العامية ، كقصص الهلالية والزير سالم وسيف بن ذي يزن ؛ ومنه قصص كتب بلغة قريبة من لغة العامة ، كقصص ألف ليلة وليلة ، وقصة عنترة . ولا يلقى من يستطيع القراءة عسرا في فهم هذا الأدب ، ولا يستعصي فهمه على من يسمعه ممن لا يقرءون ، سواء أكتب بلغة عامية أم بلغة عربية صحيحة ، ولا ننسى هذه المجلات التي شاعت في هذا العصر بلغة عامية أو لغة مقاربة . ثم هذه القصص التمثيلية التي يشهدها العامة والخاصة ، ويستمع إليها في المنازل العامة والخاصة كذلك .

لست أجادل الأستاذ في هذا وأفضل القول فيه ، فإن مقصده بين ؛ يريد أن يقول إن العامة لا نصيب لهم مما يكتب كتابنا وينظم شعراؤنا اليوم ، ولا مما كتب كتابنا ونظم شعراؤنا في العصور الغابرة . وهذه دعوى صادقة في جملتها ؛ ولكن الأستاذ قد حاد عن القصد حين قدر العامة والخاصة وأحصى القراء في البلاد العربية بالطريقة التي قدر بها وأحصى . قال : « إن الكتاب في العالم العربي يطبع منه الألف والألفان ، والجريدة والمجلة لا تتجاوزان ستين ألفا » ، وقال : « ومعنى ذلك أن القراء الذين يتغذون بالكتب والمجلات والصحف لا يتجاوزون

المائتي ألف ، إذا حسبنا أن الكتاب والمجلة يقرؤها أكثر من واحد» . فإن طردنا هذا القياس في الأمم الأخرى فإن الكتاب الإنجليزي يطبع منه خمسون أو مائة ألف ، وإن المجلة أو الجريدة يطبع منها ثلاثمائة ألف أو نحوها . «ومعنى ذلك أن القراء الذين يتغذون بالكتب والمجلات والصحف — في إنكلترا وأمريكا وأوستراليا وسائر الأقطار التي تتكلم الإنكليزية — لا يتجاوزون مليونا ومائتي ألف» . فهل يرضى الأستاذ هذه النتيجة ؟ ألا يراها « مرعبة مفزعة » كما قال . ويتصل بهذا الإفراط والغلو في الدعوى والتقدير قوله عقب هذا : «وليس هناك أمة حيّة على وجه الأرض الآن تشقى نصف هذا الشقاء ، ولا ربعه» . هل وثق أستاذنا حقا أنه إذا نظر إلى أمم الأرض كلها في الشرق والغرب ، وأحصى القراء والأميين في شرق أوروبا وفي إيران وتركستان والهند والصين وجاوة لا يجد أمة تشقى في هذا ربع شقاء الأمة العربية بالمأتم هذا ربع الإسراف في الدعوى ، وتحكيم الظن والتوهم في الرأي كما ظنّ آنفا ؟! أنا راض بما يجيب به الأستاذ الكبير إن في كل أمة جماعات تختلف ثقافتها وزمانها ، ولكل كتاب قرّاء ؛ فليس صوابا أن يقدّر قراء أمة بعدد ما يطبع من نسخ كتاب أو مجلة أو جريدة .

ثم قال الأستاذ : «سبب هذه المصيبة العظمى في الأمم العربية شيئان : الأميّة الفاشية الخ» . ولا يخالف أحد دعوة الأستاذ إلى محو الأمية ، بل نتوبر معه عليها وندعو إلى محاربتها جهدنا .

* * *

وبعد أن دعا إلى الثورة على الأمية قال : « والسبب الثاني أن لكل أمة عربية لغتين ، لغة للكتابة والتأليف في العلوم والآداب ، ولغة للكلام في الشارع والمنزل والتعامل . والفرق بين اللغتين كبير » . ولست أخالف الأستاذ في أن بين الكتابة والخطاب في البلاد العربية فروقا ، ولكن لا أجيز لنفسي أن أقول إن لنا لغتين . فالعامي الأمي يفهم ما يسمع من لغة الكتابة كلّه أو أكثره إن كان الموضوع قريبا إليه . والقرآن والحديث وخطب الجوامع والجرائد ، تقرأ على العامة فيفهمونها ، إلا إن كان الموضوع أعلى من عقولهم وأسمى من إدراكهم . ومنشورات الحكومات العربية تكتب باللغة الفصحى ويفهمها الناس دون مشقة . والصبي حين يذهب إلى المدرسة يسمع الدرس بلغة الكتابة أو ما يقرب منها ، ويقرأ دون حاجة إلى ترجمة من لغة الكتابة إلى لغة الخطاب ، ودون حاجة إلى التفسير إلا قليلا ، إن كان يقرأ فيما عرف من قبل ، أو ما هو قريب من معرفته . وأكثر التفسير لا يرجع إلى اختلاف اللغة ، ولكن إلى المعاني التي يُعلّمها كما يشرح للطفل الإنكليزي ألفاظ الموضوعات التي يتعلمها ؛ ولكن في بلد ما كلّه الفروق الواضحة بين لغة الكتابة ولغة الخطاب ، وهذا لا تجادل الأستاذ فيه . ولا ريب أنه عنى هذه الفروق التي نعترف بها حين قال إن لكل أمة عربية لغتين . فليس بيننا كثيرا هذا الخلاف في التعبير ، والقصد بيّن .

وكان يسعى أن أنظر إلى مقصده لا إلى عبارته ، وأقصد إلى الكلام في هذا القصد . ولكني جعلتها فرصة لردّ ما يردّده بعض الناس كلما دار الحديث في اللغة العربية واللغات العاميّة . سمعت كثيرا من يقول إن الصبي المصري يتعلم في المدارس لغات أوربية ، ويتعلم العربية وهي لغة أخرى أجنبية يُعلّمها الطفل كما يعلم اللغات الأجنبية الأخرى . وهذا مُنكَر من القول وزور ، لا يُحوج دحضه إلى عناء . وفي الجملة التي قدمتها غنى عن الجدال فيه .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

ذات مساء

مجموعة قصص للأستاذ صلاح ذهني

نقد وتقدير بقلم محمود تيمور

تبوأت القصة القصيرة في عالم الفكر الحديث مكانة مرموقة، وصارت عنصرا من عناصر الأدب العربي، بعد أن كانت منذ عشرات قليلة من السنين لا يؤبه لها ولا يعتد بها. ولعلنا لا نجانب الحق إذا قلنا إننا نتفاءل بمستقبل القصة لما يبدو من اطراد رقيها على أقلام المجددين من أدباء الشباب؛ ولكن هذا التفاؤل لا يمنع ما نلاحظه فيما تطالعنا به الصحف والمجلات من وفرة الأقاصيص التي تعد من الغث الرخيص. ومرجع هذا إلى أن كثيرا من ناشئة القصاصين يقبلون على كتابة الأقاصيص ظنا منهم أن طريقها جد ميسور، وعزب عن الأمر أن الأقصوصة عمل فني يقتضي دقة ومهارة، وتطلب ثقافة قصصية واسعة، وتفهما لعناصر هذا الفن، فضلا عن المرانة واليقظة والمراس الدائب. وأظهر ما يتبين من العيوب الشائعة بين هذه الفئة من ناشئة القصاصين أنهم لا يحتشمون أنفسهم عناء التفرقة بين الأقصوصة والقصة، ولا يسألون أهم مميزات الأقصوصة، وهي أنها تعالج جانبا من حياة لا حياة كاملة، وأنها ليست إلا لمحة أو خاطرة أو إلمامة، بشرط أن تستوفي في دائرتها القصيرة أصول الفن من تركيز وتحليل. والواقع أننا لا نقرأ في العدد الجم من الأقاصيص التي يتعجل بها الناشئة مواهبهم وكفاياتهم إلا ملخصات يعولون فيها على السرد المقتضب، دون التحليل النفسي والمعالجة الفنية. على أننا لا ننكر أن رهطا من شباب الأدب لم يفتهم التزود من ثقافة الفن، متابعين الدراسة والاطلاع، مسايرين خطوات الفكر الحديث في نتاجه المتجدد، وبذلك لم يعجزهم تفهم روح الأقصوصة، فعالجوا موضوعاتهم على نحو يشرح صدور الذين يرجون أن تينع ثمار أدبنا العصري، وأن تأخذ طريقها إلى السوق العالمي.

ومن هذا الرهط المتميز صديقنا الأستاذ صلاح الدين ذهني. وليس اسمه بطاري على الميدان القصصي، فقد أصدر عدة مجموعات لها دلالتها على الإجادة والتوثب. وكل مجموعة يصدرها يخطو بها إلى الأمام مرتقية؛ والمجموعة التي بين أيدينا الآن الشهاة: «ذات مساء» جديرة أن تحتل مكانة كريمة من أدبنا الحديث. ومن مميزاتها أن المؤلف فيها أسلوبا مطبوعا بطابعه، وتفرده عن بقية الكتاب فيما يصطنعون من أساليب، وآية الصدق فيه أنه يمثل حديث المؤلف في مجالسه، مع ملاحظة الصياغة الفنية التي تستدعيها الكتابة. وفي هذا الأسلوب يتتابع إيقاع الكلمات والجمل في موسيقية تلذ السمع، وتبعث [illegible]

والمؤلف يجيد رسم أبطاله رسما حيا، قوي الإبانة على الرغم من قلة الأوصاف والنعوت؛ فهو يوجز ولكنه يطوي في هذا الإيجاز سر قوته، فيرمان ما نبض الصور بالحياة وتشرك بوجودها طريقة أخاذة.

والمؤلف عناية ظاهرة باستخدام التحليل النفسي لحياة الأبطال، والتزام المنطق السليم في عرض الحوادث، وبذلك تخلو أقاصيصه من التنافر بين أجزائها؛ فالقارئ يتابع الأقصوصة دون أن يحس أي افتعال وتكلف، حتى يبلغ النهاية الطبيعية في سلاسة وهوادة وصدق فن.

وفي تضاعيف الأقاصيص جميعا تسري روح من الدعابة والمرح تستهوي القارئ، وتشيع الغبطة بين جوانحه. وقد وفق المؤلف في جعل أقاصيصه محتوية على عنصر الفن وعنصر التسلية والتشويق معاً؛ إذ ألف بينهما تأليفا بقا. فالقارئ الجاد يصيب غذاءه الفكري الطيب، والقارئ

المتلقى يترشف متعته المهذبة الحبيبة .

وربما يبدو لغير المتعمق أن ليس لأقاصيص هذه المجموعة مرام خلقية ملموسة ، وأهداف اجتماعية واضحة ، فيأخذ على المؤلف أنه أغفل ذلك الجانب . والواقع أن هذه المؤاخذة الموهومة إنما هي ميزة خليقة بالتقدير ، فإن المتعمق المتفهم يستخلص لنفسه من تلك الأقاصيص أهدافاً ومرامي لها صلتها الوثقى بالأخلاق والاجتماع ، بيد أنها تنكبت الطريق المباشر ، وتغلغلت في ثنايا الموضوع ، وتوارت وراء الأحداث والصور .

***

والرجاء أن تلقى المؤلف في مجموعاته المقبلة تدعمه دائماً تلك الثقافة المتجددة التي يغترف من منابعها العذاب ، فيتنامى في مدارج الكمال الفني الذي لا حد له ولا منتهى .

محمود تيمور

الشهيد . . .

ما مرّ عيدٌ بعد عيدْ ... إلا ذكرتُكَ يا شهيدْ
وذكرت كيف غضبت في ... واد تهدهدهُ القيود
نُبِّئْتَ - وحي الغيب - أن ... الضوء يخلقه الوقود
فحملت مشعله تجو ... دُ ولا ثواب لمن يجود
ووُعِدْتَ واكداهُ - بل ... وا فرحتاهُ - للوئيد !!

.....

ما مرّ عيدٌ بعد عيدْ ... إلا نسيتُكَ يا شهيد
ونسيت أن الناس تذ ... كرك الغداة ولا تريد
فإذا توارى العيد أو ... دعت الثرى حتى يعود !!
أسفٌ على الذكرى إذا ... أضحتْ رجيعاً للوعود
أو أمست العبرات بُهْـ ... ـتاناً يسيل على ركود
أو ورت آثارك الـ ... بيضاء بالشجر الزهيد
هيهات أن نحيا بما ... لا صدق فيه ولا وجود

ما مرّ عيدٌ بعد عيدْ ... إلا بكيتُكَ يا شهيد
وبكيت مثواك الذي ... يرنو إلينا من بعيد
يرنو ليوقظ أمّةً ... بسطت ذراعاً بالوعيد ...
لهفي عليك تخطُّ للـ ... ـدنيا سُطوراً في جليد
وتموت ميتتها كأنـ ... ـك قد حظيت بما تريد !!
يهنيك أنْ دَرَّجْتَ دما ... ؤك في أخاديد الجحود
من ساد حيًّا وحده ... في الموت أحرى أن يسود

عبد القادر الياردي

سمراء

إن أكن سمراء فالحسن نصيري ... إنني نرجسة الوادي النضير
يا حمامات على لا تنظرن لي ... نظرة الساخر مغلول الضمير
إنها الشمس أحالت مشرقي ... شفقاً في الحسن مفقود النظير
إحوتي عوراء لا منهمو ... لم يكن كرمى لديهم بأثير
فاعذروني على حسنهم لم ... يبنها كرمى مباح الغدير

عبد العليم محمد القباني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحب امتياز الجملة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك
...
رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الرحمن خلاف

الاشتراك لستة أشهر
٤٥ ص في مصر والسودان
٣٧/٥ قطعة وسلطنة الإلزام
٦٠ في البلاد الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ في البلاد الخارجة عن اتحاد البريد
ثمن العدد ١٥ مليما

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع السكرداسي رقم ٩ بعابدين — مصر